البحث الثالث

المدينة الفاضلة
في فكر إخوان الصفا وخلان الوفا
بحث في فلسفة القانون

دكتور
عبد الله طه فرحات

ملخص البحث :

يجد الباحث في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي مجموعة رسائل معنونة باسم واضعيها "رسائل اخوان الصفا" وهي مجموعة من الرسائل وضعها بعض الفلاسفة المسلون ، ساد الغموض حول حقيقتهم، وضعوا فيها كل معارفهم الفلسفية حتى رأي البعض أنها دائرة معارف فلسفية، سخروها لتحقيق غايتهم الفلسفية والسياسية، فأعلنوا في رسائلهم أن غايتهم هي تطهير الشريعة بالفلسفة، ولكن المتأمل لحقيقة مقصدهم السياسي يجد أنهم استخدموا كلا من الفلسفة والدين لتحقيق غايتهم السياسية وهي تأسيس وإقامة مدينتهم الفاضلة، التي قالوا عنها في الرسائل أنها مدينة روحانيه، ولكن المتأمل لنظامها يجد أنه صيغ على نحو يتفق تماما مع النظام الذي وضعوه لجماعتهم السرية، ومن ثم يتأكد للمتفحص لهذه الرسائل أن غايتهم كانت هي الخروج على السلطة السياسية القائمة (الدولة العباسية) وتأسيس دولة جديدة ، وأن أفكارهم عن المدينة الفاضلة ما هي إلا وسيلة للدعوة إلى جماعتهم، ومن ثم دعوتهم السياسية الخفية. وقد اتبعوا منهج يتفق مع غايتهم حيث اتبعوا التأويل الباطني لآيات القرآن، وللتبشير بإمامهم (المهدي المنتظر) وإقامة دولتهم التي أطلقوا عليها اسم "دولة أهل الخير"، في مقابل النظم الأخرى القائمة التي أطلقوا عليها اسم " المدن الجائرة. " 0

Abstract:

The researcher in the history of Islamic philosophical thought finds a group of letters titled in the name of their authors, “Epistlees of the Brotherhood of Safa.” It is a group of letters written by some Muslim philosophers. There was ambiguity about their reality, in which they placed all their philosophical knowledge, to the point that some saw it as a circle of philosophical knowledge, which they harnessed to achieve their philosophical and political goals. They declared in their letters that their goal was to purify the Sharia with philosophy, but whoever considers the truth of their political goal will find that they used both philosophy and religion to achieve their political goal, which is to establish and establish their virtuous city, which they said in the letters is a spiritual city, but whoever considers its system will find that it was formulated in a way that was completely consistent. With the system that they established for their secret group, and then it becomes clear to the one who examines these letters that their goal was to break out of the existing political authority (the Abbasid

state) and establish a new state, and that their ideas about the virtuous city are nothing but a means of calling to their group, and hence their hidden political call.

They followed a method consistent with their goal, as they followed the esoteric interpretation of the verses of the Qur'an, to preach about their imam (the Awaited Mahdi), and to establish their state, which they called "the state of good people," in contrast to other existing systems, which they called "unjust cities."

مقدمة

تعد فكرة اليوتوبيا[74] أو المدينة الفاضلة التي صاغ أفلاطون نموذجا لها في كتابه الجمهورية من الأفكار المحورية المؤثرة في الفلسفة بشكل عام، ولدى الطامحين والحالمين من فلاسفة السياسة بوجه خاص، وقد وضع أفلاطون ذلك النموذج محاولا تنصيب الفيلسوف على رأس هذه المدينة ليجنبه مصير أستاذه سقراط، ذلك المصير الذي ولَّد عقدة لدى أفلاطون والفلاسفة اللاحقين والتي عرفت بعقدة سقراط، تلك العقدة التي سيطرت على الفكر الفلسفي ردحا طويلا من الزمن، وجوهرها: كيف يمكن تأسيس نظام سياسي يتمتع فيه الفيلسوف بمركز القيادة؟، ويستطيع التعبير عن أفكاره ونقلها للواقع العملي بكل حرية دون التعرض للاضطهاد؟!، وذلك بتنصيب الفيلسوف حاكما على رأس ذلك التنظيم السياسي، فشخصية سقراط في كتاب الجمهورية لأفلاطون تمثل نموذج الشخصية النمطية للفيلسوف الحاكم الذي جاهد أفلاطون من أجل تنصيبه حاكما في الواقع العملي.[75] وعلى درب أفلاطون صاغ الفلاسفة الحالمون مدنهم الفاضلة التي كان الخيال هو مدادها ، وأملهم في ذلك هو محاولة الوصول لنظام سياسي ينعم فيه الانسان بالحرية والمساواة والعدل الكامل. ولكن الأفكار والخيالات والأحلام اليوتيوبية لم تكن غير استجابات مختلفة للمجتمعات التي نشأت فيها، فكانت تعبيرا عن الرغبة في تغيير الواقع القائم وتجاوزه، والحلم بحياة ومجتمع أفضل وأكثر عدلا ، ولذلك لا يمكن فهم التاريخ اليوتيوبي، قديمه وحديثه. حتى نضعه في سياق التطور التاريخي والاجتماعي، لنعرف أنه صرخة احتجاج على أوضاع وظروف اجتماعية ظالمة، وفاسدة، ولم تجد الغالبية العظمى من المشروعات اليوتيوبية طريقها إلى التطبيق،

([74]) كان توماس مور(1478 – 1535) هو أول من صاغ كلمة يوتوبيا أو "أو توبيا"، في نطقها اليوناني. وقد اشتقها من الكلمتين اليونانيتين Ou بمعنى لا، و Topos بمعنى مكان، وتعني الكلمة في مجموعها، ليس في مكان ، ولكنه أسقط حرف O وكاتب الكلمة باللاتينية، لتصبح Utopia، ووضعها عنوان الكتاب له هو أشهر يوتوبيا في العصر الحديث. وقد استخدم اللفظ منذ ذلك الحين في كل اللغات. الأوروبية. وفي ترجمته العربية أيضا ليعني نموذج لمجتمع خيالي مثالي، يتحقق فيه الكمال، أو يقترب منه، ويتحرر من الشرور التي تعاني منها البشرية، ولا يوجد مجتمع كهذا في بقعة محددة من بقاع الأرض، بل في أماكن وجزر متخيلة ، وفي ذهن الكاتب نفسه، وخياله، قبل كل شيء. وأصبح للكلمة فيما بعد معاني كثيرة غير التي استخدمها مور، فصارت تطلق على كل إصلاح سياسي. أو أي تصورات خيالية مستقبلية، أو احتمالات علمية وفنية. ولكن تظل اليوتوبيا تصورا فلسفيا، ينشد انسجام الإنسان مع نفسه ومع الآخرين، ومع مجتمعه. فالفكر اليوتيوبي معني بالدرجة الأولى بخلق أفكار وتصورات للانسجام الاجتماعي، وهو يصدر عن الخيال الأدبي أو التصور الفلسفي، و يختلف كل الاختلاف عن ما يسمى في عصرنا بعلوم المستقبل التي تقوم على التخطيط العلمي والرياضي للمستقبل، فصل على أساس الإمكانيات الكامنة. الواقع الراهن. أنظر. ماريا لويزا بر نيري : المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، ترجمة دكتورة/ عطيات أبو السعود، مراجعة، دكتور عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة. الكويت. سبتمبر 1997، ص 9.

([75]) د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، بين أفلاطون وبعض فلاسفة الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012 ، ص 19.

والقليل النادر الذي طبق منها كان مآله الإخفاق. ومع ذلك، لم يكف الخيال البشري عن الحلم بواقع إنساني أفضل، ولن يتوقف عنه في يوم من الأيام. [76]

ويجد الباحث في التراث الإسلامي مجموعة رسائل فلسفية معنونة باسم واضعيها: "رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا"، وهم جماعة من الفلاسفة المسلمين الذين تخفوا وراء هذا النص العتيق وبثوا فيه معارفهم وأفكارهم الفلسفية التي تناولت شتى فروع العلوم والمعارف التي عرفتها البشرية حتى زمن تدوين الرسائل المذكورة. ورغم أن كُتاب هذه الرسائل هم فلاسفة مسلمون إلا أن المطلع عليها يجدها ضمت بصورة توفيقية تيارات فكرية متعددة، فضمت الأديان والكتب السماوية والأديان الوثنية، وكذلك الفلسفة اليونانية القديمة، والفلسفة الهلينستية والآراء الغنوصية، وقد ضمت الرسائل كل هذه الأفكار كعمل جماعي فريد، حتى قال عنها البعض أنها دائرة معارف ذات هدف واضح وتخطيط محكم لجماعة من البشر بدافع من عقيدتهم الفلسفية التي تأصلت في نفوسهم، وأخذت عليهم مشاعرهم فأرادوا أن يمهدوا لتغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية المحيطة بهم، بأن يستبدلوا دولة أهل الشر، أو المملكة الأرضية، بدولة أهل الخير أو المدينة الروحانية الفاضلة، التي يتحقق فيها السعادة في الدنيا والآخرة.[77]

وكل من يتفحص رسائل أخوان الصفا يجد نفسه يتساءل: كيف نشأ هذا الفكر وظهر ونمى حتى وصل إلى هذه الدرجة التي يجدها في الرسائل؟، وكيف تأست هذه الجماعة؟، وما حقيقة الدعوة التي تأسست الجماعة لنشرها؟ وفي أي مرحلة من مراحل تنظيم هذه الجماعة تم كتابة هذه الرسائل؟ وما الغاية من تأليفها؟ وهل حقا ساعدت هذه الرسائل في تحقيق الهدف المنشود منها؟ كل هذه أسئلة تطرأ على عقل الباحث في فكر إخوان الصفا بصفة عامة، سنستعرضها في هذا البحث محاولين الوصول لرأي فيها، كما نعرض لنموذج المدينة الفاضلة عند اخوان الصفا والذي يعد من أهم الأفكار التي طرحوها، ووجهوا فلسفتهم ومناهجهم النظرية والعملية لتحقيقه على أرض الواقع. وسنحاول من خلال هذه الدراسة البحث عن حقيقة هذه الجماعة الفلسفية، وفكرها السياسي، وفكرها الاجتماعي، وفكرة المدينة الفاضلة كما طرحوها وعرضوها في رسائلهم.

([76]) راجع مقدمة دكتورة/ عطيات أبو السعود. لكتاب ماريا لويزة برنيري. المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ص 10.

([77]) انظر، تقديم أ. د/ عز الدين فودة لكتاب د/ محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982 ، ص 5.

منهج الدراسة: سنعتمد في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي في قراءة وتحليل أفكار إخوان الصفا كما وردت في رسائلهم، للوقوف على حقيقة أفكارهم وغاياتهم، مع الاعتماد على نصوص رسائلهم، والدراسات التي تناولتها.

تقسيم الدراسة: سنقسم هذه الدراسة على النحو التالي:-

المبحث الأول : حول إخوان الصفا. ونتناول فيه الموضوعات التالية:

التعريف بإخوان الصفا – وأصلهم – مؤسسو الجماعة– تاريخهم – خلاصة فلسفتهم – عصرهم– انتماءهم المذهبي – مؤلفو الرسائل– طابع السرية والرمزية – خصائص الرسائل.

المبحث الثاني: العدالة في فكر إخوان الصفا، ونتناول فيه:

الإطار الفلسفي (النظري) للعدل عند اخوان الصفا

والإطار العملي لفكرة العدل لديهم.

المبحث الثالث: الفكر السياسي والاجتماعي عند اخوان الصفا. وينقسم لمطلبين:

المطلب الأول: الفكر السياسي ونتناول فيه: تقسيم اخوان الصفا للعلوم – أنواع السياسات عند اخوان الصفا. – الرئاسة والسياسة.

والمطلب الثاني: الفكر الاجتماعي. نتناول فيه: فكرة الاجتماع الكامل عند اخوان الصفا، وأنواع المجتمعات الكاملة لديهم – الغرض من الاجتماعات الفاضلة عند اخوان الصفا.

المبحث الرابع : المدينة الفاضلة في فكر اخوان الصفا. ونتناول فيه

المطلب الأول : تأسيس الاجتماع الفاضل.

المطلب الثاني : نظام مراتب التنظيم ، وطبقات مجتمع المدينة الفاضلة.

المطلب الثالث : الأسس التي تقوم عليها المدينة الفاضلة .

المطلب الرابع: حاكم المدينة الفاضلة .

المطلب الخامس : واجبات أعضاء المدينة الفاضلة.

المبحث الخامس: التوفيق بين الدين والفلسفة عند اخوان الصفا. ونتناول فيه:

المطلب الأول: نظرة اخوان الصفا للعلاقة بين الدين والفلسفة

المطلب الثاني: التوفيق بين الدين والفلسفة بالتأويل

المطلب الثالث: الظاهر والباطن في فلسفة إخوان الصفا

المطلب الرابع: أثر التأويل في الفلسفة السياسية لإخوان الصفا

خاتمة.

المبحث الأول

حول إخوان الصفا

لم نجد جدلا دار في تاريخ الفكر الإنساني حول جماعة من الجماعات الفلسفية كالذي دار ومازال حول إخوان الصفا، بدءا من التعريف بهم وتحديد أشخاصهم وإدراك مضمون فلسفتهم، والوقوف على غاياتهم، وحقيقة مذهبهم. ونحاول في هذا المبحث استعراض ذلك الجدل ومحاولة الوصول إلى رأي فيه.

1- التعريف بإخوان الصفا:

أخوان الصفاء وخلان الوفاء ثلة من الفلاسفة الأجلاء، ظهرت في البصرة، وقيل أن لها فرع في بغداد، وقد ذكر أبو حيان التوحيدي أن هذه المجموعة قد تألفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة ويبدو ذلك جلياً في الاسم الذي أطلقوه على أنفسهم (أخوان الصفاء وخلان الوفاء، أهل العدل وأبناء الحمد)[78]. وهم جماعة سرية معارضة[79] ظهرت وانتشرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين[80] واشتغلت بالفلسفة وبعلومها، وأضفى طابعها السري الكثير من الجدل حول أفكارها وفلسفتها وغايتها ومقصدها.

2- أصل اخوان الصفا:

زعم اخوان الصفا في رسائلهم أن جماعتهم ترجع إلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأنهم من نسل المسلمين الأوائل[81]، إذ ورد في رسائلهم العبارة التالية: "ومن قبله ما أنال أحقَّ الناس بما قاسى أولادهم بالأمر من بعده ثم من بعد غيبة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم قُتِلَ من بعده من أجلَّة أصحابه المساعدين له في إقامة الناموس معه؛ مثل صِدِّيقه وفاروقه وذي النورين، وما تواتر على أهله وأقاربه من المصائب، فصار ذلك سببًا لاختفاء إخوان الصفاء وانقطاع دولة خلان الوفاء، إلى أن يأذن

---

[78] أبو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة، تحقيق، هيثم خليفة الطعيمي ،المكتبة العصرية ، ص163-164.

[79]) د. محمود إسماعيل عبد الرازق : إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، دار قباء ، 1998، ص 7.

[80]) المرجع السابق، ص 25.

[81] عمر فروخ : اخوان الصفا ، درس - عرض - تحليل ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت 1953 ، ص 14.

الله بقيام أولهم وثانيهم وثالثهم، في الأوقات التي ينبغي لهم القيام فيها إذا برزوا من كهفهم واستيقظوا من طول نومهم."[82]

واسم اخوان الصفا ليس بالاسم الغريب عن لغة العرب ولا الآداب التي عرفوها، إذ ورد في أشعار الجاهلية [83]، حيث ورد اسم اخوان الصفا في غير موضع من الشعر العربي ففي أبيات لأوسي بن حجر جاء قوله :

وودع اخوان الصفا بقرزل يمر كمريخ الوليد المقزع

ولأبي حناء البراء بن ربعي الفقعسي أبيات جاء فيها:

أولئك اخوان الصفا رزئتهم وما الكف إلا اصبع ثم اصبع

كما ورد اسم اخوان الصفا في بعض الآثار الأدبية التي ترجمت عن الفارسية ككتاب كليلة ودمنة – وله عند اخوان الصفا مكان مرموق – فجاء في باب الحمامة المطوقة : "قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف .... فحدثني إن رأيت عن اخوان الصفا كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض؟ قال الفيلسوف : إن العاقل لا يعدل بالاخوان شيئا ، فالاخوان هم الأعوان على الخير كله ... فانه لا شيء في سرور الدنيا يعدل صحبة الاخوان... فالانسان الذي أعطى العقل والفهم ، وألهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة، أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد فهذا مثل اخوان الصفا وائتلافهم في الصحبة".[84]

بيد أن النظر إلى مسمى تلك الجماعة وربطه باسلوب تنظيمهم وأهدافهم يوضح بعضا مما قصدوه من اطلاق هذا الاسم عليهم، فقد أطلقوا على أنفسهم اسم: **(أخوان الصفاء وخلان الوفاء، أهل العدل وأبناء الحمد)** فهو يشير إلى معان: "الاخاء والصفاء ، والعدل والوفاء"، وقد لازمت فكرة الإخاء هذه كافة الحركات الثورية في المجتمع الاسلامي، فكان من بين أهداف الحركات الخرمية البابكية[85] مثلا

([82]) رسائل اخوان الصفا ، ج 4 ، ص 309.

([83]) ذكرها : عمر الدسوقي : اخوان الصفا ، مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية ، دار احياء الكتب العربية ، دون سنة ، ص 48 – 49 . د. محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1982 ، ص 23.

([84]) أنظر كتاب: كليلة ودمنه، ترجمة:عبدالله بن المقفع، دار مطابع الشعب، ص 62– 69.

([85]) الخرمية ، هي مذهب فارسي قديم انتشر واشتهر بالشيوعية والاباحة ، وتطور مع بابك الخرمي الذي نادي بالقتال وأعاد تنظيم الحركة ، وقد أوضح الأستاذ بندلي جوزي ان أهمية هذه لحركة تكمن في سببين:

استبدال النظام القائم بنظام مبني على أسس العدل والاخاء والمساواة، وكان المقصود من فكرة الاخاء في هذه الحركات ازالة الأسباب التي تؤدي إلى انقسام الناس إلى طبقات متعادية متطاحنة، والعمل على قتل عوامل البغض وتقوية عرى المحبة والاخاء الحقيقي بينهم بغض النظر عن معتقداتهم الدينية .[86]

وكذلك الحركة الاسماعيلية التي دعت إلى الاخاء ليس فقط بين المسلمين ولكن بين أصحاب القوميات والاديان المختلفة – حتى قال البعض انها تجاوزت فكرة الاخاء القائمة على وحدة الدين إلى فكرة الإخاء القائمة على مطالب العقل[87]، وهو ما جعل البعض يقول بالصلة بين اخوان الصفا والاسماعيلية. وجعل آخرون يقررون أن أصول اخوان الصفا ترجع للقرامطة، وقالوا أن حلقة اخوان الصفا كانت أول حلقة أخوية ظهرت بين القرامطة.[88] وما يهمنا هنا أن نؤكد على أن معاني الأخوة كانت منتشرة في الدعوات والحركات الفكرية والسياسية في ذلك العصر، وعبارات: "أيها الأخ الرحيم"، "اعلم أيها الأخ البار الرحيم"، "واعلم يا أخي" التي ترددت في رسائل اخوان الصفا توضح أن الجماعة بدأت وانتهجت نهج الأخويات في تعامل أعضائها مع بعضهم البعض، كما أن حديث التوحيدي في الامتاع والمؤانسة دال على أنها جماعة تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة"[89] وهذه المعاني تؤكد الإخوة بين أعضاء هذه الجماعة.

3- مؤسسو الجماعة:

لقد كان لطابع جماعة إخوان الصفا السري أثر – ولازال – في الجدل حول مؤسسيها بل وحول أعضائها بما دفع البعض[90] إلى نسبة أغلب علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى إخوان الصفا

أولاً: التنظيم الجيد الذي تمتعت به الحركة، وتماسكها وصمودها أمام أعتى جيوش الأرض في تلك الحقبة.
وثانياً: سرعة انتشارها وانضمام العديد من الفصائل والأعراق تحت لواء بابك الذي جمّع الفرس والأكراد والأرمن والمسلمين وكل الأقليات من بلاد القوقاز. وهو ما يعكس اتفاقاً قوياً وقيادة حكيمة، وشعور بالمصلحة الاجتماعية العامة آنذاك، ويلفت الانتباه إلى أنّ الصمود والاستماتة في القتال كطريقة انتهجها بابك وأتباعه، تعكس إيماناً بالمبادىء، وقضية إنسانية التفّت حولها طبقات المهمشين، الذين سقطت هيبة الدولة لديهم، بعد عجزها عن دمجهم مع العرب الذين مثّلوا غالبية المسلمين وقتها. راجع بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكري في الاسلام ، سلسلة احياء التراث الثقافي الفلسطيني ، الطبعة الثانية ، 1981 ، ص 91 ، 106- 107 .

([86]) د. محمد فريد حجاب : المرجع السابق ، ص 24. بندلي جوزي : المرجع السابق ، ص 91 ، 106- 107 .

([87]) بندلي جوزي : السابق ، ص 120.

([88]) المرجع السابق ، ص 220 – 223.

([89]) أبو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة، المرجع السابق ، ص163-164.

([90]) د. محمود إسماعيل : المرجع السابق، ص 35 : 37

دون سند، فمن العجيب أن نجد هذا البعض يقول بأن أبا النصر الفارابي الفيلسوف الشهير بـ (المعلم الثاني) كان من مؤسسي هذه الجماعة، ولم يقتصر هذا البعض عند هذا القول بل نسبوا إليهم أيضا كل من جابر بن حيان ،وأبو بكر الرازي ، ومسلمة المجريطي، ولكن أعجب ما قالوه هو نسبتهم أبي حيان التوحيدي إلى اخوان الصفا رغم ما قاله عنهم في كتابه الشهير الإمتاع والمؤانسة بدعوى اتباعه للتقية.

ومن ذلك يظهر لنا قدر الصعوبة في تصديق ما ذكروه، أو الأخذ به، ولكن ذلك لا يمنع من موافقتهم في بعض ما ذهبوا إليه من تأثر إخوان الصفا في فلسفتهم وشتى علومهم بمعاصريهم والسابقين عليهم من علماء المسلمين وغير المسلمين. **وأرجح ما يمكن أن يميل إليه الباحث** عن حقيقة إخوان الصفا هو الأخذ – وبشيء من الحذر – بما ذكره أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة عن أعلام إخوان الصفا الذي توصل إليهم وذكرهم في كتابه المذكور. ومنهم على حد قول التوحيدي: " أبو سليمان محمد بن مَعشر البيستي، ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن على بن هارون الزنجباني، وأبو أحمد المهرجاني، والعوقي وغيرهم.."[91]. ومن ثم فلا يمكن مجاراة القائلين بنسب الفارابي، وابن حيان، والرازي وغيرهم من علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى هذه الجماعة، خاصة الفارابي الذي كان له مذهبه الفلسفي المعروف به، وكذا مدينته الفاضلة التي قال بها وحدد ملامح تنظيمها، وهي تخالف في كثير من جوانبها مدينة اخوان الصفا الفاضلة، إلى جانب ما أثبته البعض من أن إخوان الصفا كانوا أول من أدخل في الثقافة العربية فكرة المدينة الفاضلة، وأن الفارابي قد أخذ هذا المفهوم منهم.[92] هذا عن الفارابي. ويمكن الرد أيضا على ما قيل عن انتماء بعض علماء القرن الثالث والرابع الهجريين لهذه الجماعة؛ أنه لو كان اشتهر عن هؤلاء العلماء انتمائهم لإخوان الصفا لكان أجدر بأبي حيان التوحيدي ذكرهم في حديثه الذي نقلناه. وأن قول ذلك البعض باتباعه – أي: التوحيدي – التقية في حديثه عن اخوان الصفا، هو قول دون سند خاصة أنهم لم يحاولوا إثباته.

4- تاريخ اخوان الصفا:

تاريخ اخوان الصفا كان ولا يزال غامضا؛ لكونهم جماعة سرية معارضة من ناحية، ولما كيل لهم قديما وحديثا من تهم الهرطقة والزندقة من ناحية أخرى، لذلك فتاريخهم في إطار "المسكوت عنه". كما

([91]) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ، مراجعة هيثم خليفة الطعيمي، الجزء الثاني، 2011، ص 163.
([92]) أنظر: جيوم دفو: رسائل إخوان الصف وخلان الوفا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص 221.

أن فكرهم لا يزال مضببا لدى القدامى والمحدثين أيضا، برغم رسائلهم الصافية معرفيا. نظرا لأنها كتبت في مرحلة لاذ فيها الإخوان "بالتقية"؛ فلم يفصحوا بوضوح عن مكنون معتقداتهم، ولجأوا إلى "الرمز" و"اللمز" و "الغمز" إيثارا للسلامة والعافية[93]. وكان لهذا الاسلوب أثره البارز في فلسفتهم وفي اسلوب تنظيمهم ، بل وفي عقيدتهم ذاتها.

5- خلاصة مذهبهم:

زعم اخوان الصفا أن الشريعة دُنست بالجهالات فأرادوا تطهيرها بالفلسفة، فمزجوا الدين بالفلسفة. واعتمدوا على المنهج الرياضي المنطقي من أجل "تطهير الشريعة بالفلسفة" وتصحيح المفاهيم الدينية السائدة، وبناء نظرية علمية عقلانية متكاملة في المعرفة، تمهيدا لتغيير وإصلاح المجتمع[94]، فدونوا فلسفتهم في إحدى وخمسين رسالة تدور على أن ثمة **دينا عقليا فوق كل الأديان** يستنبط استنباطا عقليا ويخلو من العذاب بالنار، ولهذا فالقيامة الكبرى ليست إلا مفارقة النفس الكلية للعالم ورجوعها إلى الله، والمحبة أسمى الفضائل وغايتها الفناء في الله[95]. فقد كانوا يرون أن الهدف المشترك بين الأديان والفلسفات المختلفة هو أن تتشبه النفس بالله بقدر ما يستطيعه الإنسان.[96]

وقد حلل الأستاذ "دي بور" فلسفتهم وخلص إلى أنهم استطاعوا أن يقلبوا الفلسفة إلى أحلام سياسية[97]. فقد كانت هذه الجماعة ترمي إلى التغلب والوصول إلى السلطة السياسية، وفي سبيل ذلك لم تجد حرجا من التذرع بجميع الوسائل، وصار أعضائها يؤولون القرآن لخاصتهم تأويلا مجازيا، وكانوا

([93]) د/ محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص7

([94]) انظر: الناصر الهمامي: المرجع السابق ، ص 90.
Albert Nader: " Courants d'idèes en Islam du sixième au vingtième siècle" . Paris : Médiaspaul, 2003, p: 93-94.

([95]) د. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2016 ،ص38.

([96]) الأستاذ : إبراهيم الزيني : تاريخ الفلسفة من قبل سقراط إلى ما بعد الحداثة، دار كنوز للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة، 2016،ص 182 .

([97]) نظر ، ت.ج. دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ، نقله إلى العربية وعلق عليه : الدكتور / محمد عبدالهادي أبو ريده، دار النهضة العربية ، ص 132.

يردون هذه الحكمة السرية إلى أنبياء ممن وردت أسماؤهم في التوراة أو في القرآن، ولكن وراءها في الحقيقة أشخاص الفلاسفة الوثنيين.[98]

6- عصر إخوان الصفا :

كان لطبيعة اخوان الصفا السرية أثرها في سيادة الخلاف حول كل ما تعلق بهذه الجمعية؛ سواء من حيث أشخاص مؤلفي الرسائل، أو مؤسسيها، وامتد الخلاف أيضا ليشمل العصر الذي تأسست فيه جماعتهم وظهرت فيه دعوتهم ، وألفوا فيه رسائلهم ، وسنحاول في هذه الفقرة تتبع ظهورهم.

فقد ساد الخلاف بين الكتاب المحققين وكثر الجدل بينهم حول زمن ظهور اخوان الصفا؛ إلى عدة آراء ، نعرضها فيما يلي:-

<u>الرأي الأول:</u> ذهب البعض – من المنتمين للإسماعيلية – إلى أن هذه الجماعة بدأت دعوتها في بداية القرن الثالث الهجري، وبذلك يكون تأسيسها سابق على بدء انتشار دعوتها بوقت كاف، ومن ثم فإن تأسيسها يرجع إلى نهايات القرن الثاني الهجري .

([98]) ويؤكد الأستاذ ديبور على أنه لا يخفى على المطلع على رسائل إخوان الصفاء. أن يدرك غاية. فلسفتهم، وهي غاية دينية، إذا أعلنوا ذلك، بأن غرضهم هو تنقية الشريعة بما اختلط بها من الجهالات باستخدام الفلسفة. وذلك أن إخوان الصفا لا ينظرون للناس. على درجة واحدة. فالناس عندهم يختلفون اختلافا بينا. ف. عامتهم. لا يستطيعون أن يخلصوا. بس. أيباد تهم لله من علائق الحس. وكما أن النبات والحيوان دون نفوس العامة، فكذلك نفوس هؤلاء، دون نفوس الفلاسفة والأنبياء، وهؤلاء في مصاف الملائكة المقربين، وإذا بلغت النفس مقامها الأعلى، صارت فوق دين العامة الموروث، وفوق ما فيه من تصورات. ورسوم حسية. ولهذا، أكد إخوان الصفاء أن الحقيقة لا توجد خالصة من الشوائب، حتى ولا في الديانات الأخرى للأمم. وكانوا يرون أن ثم دينا عقليا. فوق الأديان جميعا. وهم حاولوا أن يستنبطوا هذا الدين استنباطا عقليا ميتافيزيقيا. وقد أدخلوا بين الله وبين العقل الفعال الذي هو أول مخلوقاته، الناموس الإلهي، الذي يشمل كل شيء، كمبدأ ثالث، وهو وضع محكم لإله رحيم لا يريد بأحد شرا. ويصرح إخوان الصفا بأن الاعتقاد بأن الله يغضب ويعذب بالنار، ونحو ذلك أمور لا يقبله العقل، فصل، هو يقولون إن. إن هذه الاعتقادات تؤلم نفوس مع تقديها، ويرون أن النفس الجاهلة الآثمة تلقى جهنما في هذه الدنيا، وفي نفس الجسم الذي تعيش فيه، والبعث هو مفارقة النفس للجسد. أما القيامة الكبرى، في اليوم الآخر، فهي مفارقة النفس الكلية للعالم. ، ورجوعها إلى الله، وهذا الرجوع إلى الله هو غاية الأديان جميعا. أنظر ، دي بور ، تاريخ الفلسفة في الإسلام. ص 144 - 145. ويظهر لنا من ما سبق أن إخوان الصفا قد حاولوا أن يوفقوا بين الدين والعلم. وكذا أن يوفقوا بين الدين والفلسفة. ولكن هذا لم يرضي أهل الدين ولا أهل العلم، ذلك أن المتكلمين نظروا إلى طريقة إخوان الصفا في تأويلهم للقرآن على غير ظاهره، تأويلا، يخرجه عن المراد منه نظرات ازدراء. كما أن رجال الدين المسيحي ينددون اليوم بتفسير الكونت تولستوي للعهد الجديد، ثم إن المتشددين في التمسك بمذهب أرسطو نظره لنزعة إخوان الصفاء إلى الأخذ بآراء أفلاطون وفيثاغورس... وقد ظهرت آراء إخوان الصفا في جملتها من جديد عند فرق كثيرة في العالم الإسلامي كالباطنية والإسماعيلية والحشاشين والدروز أو غيرهم. وقد أفلحت الحكمة اليونانية في أن تستوطن الشرق، وذلك عن طريق إخوان الصفا، على حين كادت فلسفة المدرسة الأرسطية لا تثمر إلا في جو مصطنع هيئه لها الأمراء. أنظر، دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ،ص 147.

وقد دفع أنصار ذلك الرأي إلى قولهم المذكور ما لديهم من اعتقاد في أن هذه الجماعة أخذت على عاتقها الترويج للفكر الشيعي تمهيدا لقيام الدولة الامامية "الخلافة الشيعية العلوية"[99]، ولتأييد أفكارهم حول انتماء بعض شخصيات القرن الثالث الهجري لهذه الجماعة أمثال الفارابي وغيره من علماء القرن الثالث الهجري[100] .. وهو قول سبق عرضه وتفنيده.

الرأي الثاني: ذهب آخرون إلى تحديد نشأة الجماعة بسنوات محددة تبعا لرؤيتهم الخاصة المعتمدة على تتبع أخبار جماعة إخوان الصفا، ومقارنتها بسير بعض علماء العصر السابق عليهم أو اللاحق لهم، كالذين ذكرتهم رسائل الإخوان، أو أولئك الذين تتبعوا أخبار الإخوان وهم إلى عصرهم أقرب من المؤرخين[101]. وهؤلاء يذهبون إلى أن عصر ظهور إخوان الصفا كان بين القرن الثالث والرابع الهجريين .

الرأي الثالث: ذهب فريق ثالث إلى تحديد عصر اخوان الصفا بالقرنين الرابع والخامس الهجريين ، وقال بذلك كازانوفا معتمدا على تحليل بعض الظواهر الفلكية التي تشير إليها الرسائل ، وأيضا على جملة وردت في الرسائل نصها :"ومن الشيعة من يقول أن الإمام المنتظر مختف من خوف المخالفين، كلا بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون" ، حيث رأي كازنوفا أن كلمة "ظاهر" تحوي إشارة خفية دقيقة إلى الخليفة الفاطمي (الظاهر لإعزاز دين الله) الذي حكم بين عامي (418 – 427) هـ (1020 – 1035) م ، بعد الحاكم بأمر الله[102].

ولكن يرد على هذا الرأي بأن الرسائل كانت موجودة سنة 373 هـ عندما دار الحوار بشأنها بين التوحيدي ووزير صمام الدولة البويهي حيث أن حكم صمام الدولة انتهي في سنة 376 هـ ، وتوفي أبو

([99]) أنظر : د. محمد فريد حجاب : المرجع السابق ، ص 46 . د. فؤاد معصوم : اخوان الصفا ، فلسفتهم وغايتهم ، دار المدى للثقافة والنشر ، الطبعة الأولى دمشق 1998 ، ص 58 . د. محمود إسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق، ص 53 – 54 .

([100]) راجع : د. محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص 56 .

([101]) أنظر : فؤاد معصوم : المرجع السابق ، ص 58 .

([102]) أنظر : فؤاد معصوم : المرجع السابق ، ص 60 .

حيان التوحيدي سنة380 هـ حسب أرجح الأقوال، كما أن المجريطي قد قام بشرح الرسائل وهو المتوفي في الأندلس سنة 395 هـ[103].

الرأي الرابع: رجح كل من دي بور[104] وعمر الدسوقي[105] وغيرهم[106] أن الرسائل قد ظهرت على الناس في منتصف القرن الرابع الهجري، بين عامي 334 – 373 هـ، وكان ظهور الإخوان قد سبق ذلك بقليل، وتكون جماعتهم أيضا بما يشير إلى صحة التحليل القائل، بأن زمن تأسيس الجماعة هو غير زمن ظهور الرسائل، فقد سبق تأسيس الجماعة ظهور الرسائل بفترة تصل إلى عقدين أو ثلاث، ومن ثم فإنه يمكن القول مع هؤلاء أن تأسيس الجماعة كان في نهاية القرن الثالث الهجري، وبداية القرن الرابع، وأن ظهور الجماعة وشيوع دعوتها تم بعد ذلك بعقد أو اثنين، ثم ظهرت الرسائل لما انتشرت دعوتهم ، وكثر اتباعهم.

7- الانتماء المذهبي لإخوان الصفا:

كانت كتابات اخوان الصفا ولاتزال مصدر خلاف بين الكتاب، وقد شمل الجدل التساؤل حول الانتماء المذهبي للجماعة، فالبعض اعتبرهم من أتباع المدرسة المعتزلية، والبعض اعتبرهم من نتاج الباطنية، وذهب آخرون إلى وصفهم بالإلحاد والزندقة.[107] وقال آخرون بتشيعهم. وللوصول إلى جواب شاف في المسألة، يجب تحقيقها ببحث الأصول الفكرية لمذهبهم، للوقوف على حقيقة انتمائهم الفكري والعقائدي. فلا شك في تأثر اخوان الصفا بالعديد من الثقافات (الفلسفات) التي سبقتهم، سواء كانت شرقية أم يونانية أم إسلامية، وأثروا بصورة كبيرة في بلورة العديد من الأفكار التي جاءت بعدهم.[108]

وقد وجد أغلب الكتاب المعاصرين صعوبة في الحكم على مذهبهم فرغم الاعتراف بغلبة الطابع الشيعي على مذهب إخوان الصفا إلا أنه لا يمكن اعتبارهم شيعة متفلسفة، وفي ذلك يقول **الدكتور/**

([103]) انظر ، عمر الدسوقي : اخوان الصفاء ، مرجع سابق ، ص 71 – 72.
([104]) دي بور : المرجع السابق ، ص 134 .
([105]) عمر الدسوقي : اخوان الصفاء ، مرجع سابق ، ص 71 – 72.
([106]) فؤاد معصوم :السابق ، ص 60 .
([107]) انظر ، إبراهيم الزيني : تاريخ الفلسفة ، مرجع سابق، ص182 .
([108]) كالتي نجدها عند كبار فلاسفة المشرق العربي وعلى رأسهم ابن سينا، المولود في القرن الرابع وتوفي في القرن الخامس الهجري أنظر : تقديم الدكتور / عاطف عراقي لكتاب د. صابر عبده أبا زيد محمد : فكرة الزمان عند اخوان الصفا ، ص 9.

عاطف عراقي عن إخوان الصفا: إنهم جماعة من المتفلسفة وغلب عليهم المذهب الشيعي أساسا، وإذ كنا نقول: إنهم من المتفلسفة فمعنى هذا أنهم لم يكونوا معبرين عن الاتجاه الكلامي الجدلي كما يزعم بعض الذين أساءوا فهم حقيقة اخوان الصفا، فإذا كنا نجد لديهم اتجاها شيعيا فليس معنى هذا أنهم من المتكلمين أي داخل فرقة الشيعة كفرقة كلامية، فنحن نجد اتجاها شيعيا عند بعض الفلاسفة ، فهل معنى ذلك أن نقول إن هؤلاء الفلاسفة يدخلون في إطار الفرق الإسلامية؟.[109]

ومما لا شك فيه أن مهمة الباحث مهما كان موضوع بحثه تعتبر مهمة شاقة عسيرة ومما يضاعف من صعوبتها أن يكتب أو يبحث عن فكر جماعة أو فرقة سعوا إلى حجب هويتهم وأفكارهم عن مجتمعهم لظروف سياسية أو عقائدية، أو اتباعا لفكرة التقية[110] ولذلك فإنه يجب أن نتلمس خطانا – اتباعا لمن سبقونا بالحديث عن اخوان الصفا– بحذر شديد ، لما أحاط شخصية اخوان الصفا من الغموض والسرية، وما يزيد الأمر صعوبة هو استقائهم معارفهم وعلومهم من مصادر شتى ومصادر أجنبية وغنوصية مختلفة[111]، وحاولوا التأليف بين معتقدات وأديان متفرقة.

وقد كان اتصاف اخوان الصفا بالسرية والكتمان في أول الأمر، أهم الأسباب التي أدت لوجود خلاف حول حقيقة مذهبهم، فقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن جماعة اخوان الصفا هي إحدى الجماعات التي تفرعت عن المذهب الإسماعيلي الشيعي، بينما عارض آخرون فكرة أن إخوان الصفا فرقة من فرق الشيعة ، وقالوا أن جماعة اخوان الصفا شأنها شأن غيرها من الفرق لها اتجاهها الخاص وعقيدتها الخاصة، وقال رأي ثالث – **نؤيده** – بأن اخوان الصفا قد استفادوا من جميع الفرق والاتجاهات الدينية والسياسية السابقة عليهم أو المعاصرة لهم وكانت لهم نزعة تلفيقية توفيقية، وأكبر دليل على ذلك رسائلهم نفسها ، وهي من أهم المصنفات التي صنفت على مذاهب الإسماعيلية، وقد خلط الاسماعيلية

([109]) أنظر: تقديم د/ عاطف عراقي لكتاب د. صابر عبده أبا زيد: فكرة الزمان عند اخوان الصفا، ص 11.

([110]) د. صابر عبده أبا زيد محمد : المرجع السابق ، ص 14.

والتقية تعني: طرح الأفكار مقنعة بفكر آخر غير الذي تدل عليه، فيكون للأفكار معنيان معنى ظاهر يرضي السلطان أو أهل المذهب السائد (السنة)، ومعنى باطن يفهمه أهل المذهب الذي يعتنقه المتحدث، وانتشرت التقية بين الخوارج والشيعة. حول المصطلح ، انظر: د/ مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، ص 237.

([111]) د. صابر عبده أبا زيد محمد : المرجع السابق ، ص 15.

الباطنية كلامهم في الالهيات والنبوة ببعض المذاهب الفلسفية، وتضم هذه الرسائل أفكار فلسفية من مصادر متباينة تجمعها تلك النزعة. [112]

8- مؤلفو رسائل إخوان الصفا:

وبخصوص مؤلفي الرسائل فقد خيم الغموض حول مؤلفيها، وقد نسبها البعض إلى: "جعفر بن محمد الصادق"، ولكن ابن تيمية فند هذا القول وأثبت بطلانه حيث لاحظ أن جعفر الصادق قد توفي سنة 148 هجرية، وأن تأليف الرسائل تم أثناء المائة الرابعة للهجرة، وأنها لم تصنف إلا بعد ظهور الدولة العبيدية (الفاطمية) في مصر وشمال أفريقية وكان تصنيفها على ذهب الإسماعيلية كما يدل على ذلك أفكار الرسائل سواء في التأويل النفسي الباطني أو السرية التامة وأفكار الزمان والحركة والمكان، وفكرة التقية الشيعية ،والإمامة والسياسة وغيرها من المباحث الفلسفية والسياسية.[113]

وقال دي بور بأن مؤسس الجماعة هو "عبدالله بن ميمون" رئيس القرامطة، وأنه أراد بتأسيس هذه الجماعة الجمع والتأليف بين أهل الإيمان وبين والزنادقة وأن يجعل منهما حزبا واحدا يعمل على اسقاط الدولة العباسية.[114]

ويرى بعض الباحثين أن هذه الرسائل لغز مبهم في التاريخ الإسلامي صعب حله، وسر من أسرار الفلسفة العربية عسير فهمه، وكنز فكري ثمين أغلقت الأبواب دونه، وتضارب الأقوال في أهدافه ومراميه ، كما تشعبت الآراء حوله فأصبح مثارا للجدل والتخمين لدى العلماء والباحثين[115] ومن ثم فإنه لا يمكن الجزم بقول حول حقيقة مؤلفي هذه الرسائل، وإن أمكن القول بأنها لم تؤلف بمعرفة فرد واحد، فاسلوب الرسائل يشير إلى اشترك أكثر من شخص في تأليفها، وقد لجأ مؤلفوها إلى الانتساب لآل البيت، لأن آل البيت احتلوا مكانة سامية في نفوس المسلمين خصوصا لكثرة ما تعرضوا إليه من محن وابتلاء.[116] واتضحت الميول الشيعية لإخوان الصفا من دعوتهم لأنفسهم على أنهم الأئمة من آل البيت، وهو ما

([112]) د. صابر عبده أبا زيد محمد : فكرة الزمان عند اخوان الصفا ، ، ص 15-16 .
([113]) د. صابر عبده أبا زيد محمد : فكرة الزمان عند اخوان الصفا ، ، ص 16.
([114]) دي بور : المرجع السابق ، ص 133 .
([115]) د. صابر عبده أبا زيد محمد : فكرة الزمان عند اخوان الصفا ، ، ص 17 .
([116]) انظر: د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف بين أفلاطون وبعض فلاسفة الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012 ، ص 114 – 115.

جاء جليا في قولهم: "واعلم يا أخي بأن في الناس طائفة من أهل ملتنا مقرُّون بفضلنا وفضل أهل بيتنا، ولكنهم جاهلون بعلومنا غافلون عن أسرارنا وحكمتنا، فمن ذلك أنهم يجحدون وجودنا ويُنكرون بقاءنا، ومع هذا فإنهم يُزرون بشيعتنا المُقِرّين بوجودنا المنتظرين ظهور أمرنا، ومعاندون لهم متعصبون عليهم مبغضون لهم".[117]

والراجح لدى الباحثين والكتاب المحققين أن الرسائل لم تؤلف في وقت واحد، ولا بيد عالم واحد بل هم مجموعة من العلماء الذين اشتركوا في تأليفها، ولهذا نسبت الرسائل للجماعة (كجمعية وليس كمجموعة مؤلفين)، وعرفت باسم رسائل اخوان الصفا، كما أن البين من تتبع أخبار هذه الرسائل ومحاولة الوقوف على مؤلفيها أن مؤسسي الجماعة ليسوا من قام بتأليف هذه الرسائل، إذ أن الجماعة يرجح أنها تأسست في وقت سبق ظهور الرسائل بفترة كبيرة تمتد لأكثر من ثلاثة أو أربعة عقود، وهي فترة تكفي لشيوع مذهب اخوان الصفا وانتشار دعوتهم، وتعدد اتباعهم وانتشارهم في البلاد بما أوجد صعوبة تلاقيهم بصورة مباشرة، إذ أن الرسائل ألفت لمن لم يستطع من الاخوان (أعضاء التنظيم) حضور اجتماعاتهم في مركز تجمعهم سواء في البصرة أو في بغداد.

وأن تأليف الرسائل تم بعد أن وجد نظام الطبقات والمراتب التي ابتدعه اخوان الصفا للسيطرة على اتباعهم، ونقل إليهم معارفهم وأسس مذهبهم ، ومن ثم احتياجهم للرسائل للقيام بهذا الدور، إذ أن الرسائل لم توضع للعامة – من غير الإخوان– وإنما وضعت لتربية وتثقيف اخوان الصفا، بدرجاتهم المختلفة، بل ولإرساء مذهب محدد في كيفية قبول الأعضاء الجدد، وانتقالهم من درجة أو مرتبة إلى أخرى من مراتبهم. ولهذا فإن الحديث عن تأسيس الجماعة وتنظيمها ووضع مراتبها يجب أن ينظر إليه وفقا لظروف العصر الذي عاش إخوان الصفا فيه وأنه من الخطأ الاعتماد فقط على نصوص الرسائل. وذلك لأن نشر رسائل اخوان الصفا – على حد قول أبو حيان التوحيدي– جاء بعد وجود الجماعة كتنظيم، وجودا حقيقيا، بل وانتشار دعوته، التي دعموها بنشر الرسائل، التي قال التوحيدي أنهم بثوها لدى الوراقين. وهو ما يؤكد أن طور نشر الرسائل مغاير لطور تأسيس الجماعة، وطور تأليف الرسائل، إذ أنها مراحل زمنية متعاقبة. وكانت تعبر عن مدى انتقال جماعة اخوان الصفا من السرية إلى العلن وتطور دعوتهم تبعا لذلك، وكان

(117) رسائل اخوان الصفا، ج4، ص 218.

سبيلهم في ذلك اللجوء للسرية، والرمزية محافظة على أسرار الجماعة وحقيقة مذهبها، رغم انتشار دعوتها وانتقالها من طور السرية إلى العلن، واتصال العلم بها لذوي الأمر والسلطان في البلاد، فكان حديث وزير صام الدولة البويهي مع أبو حيان يدور حول ما في هذه الرسائل من علوم ومعارف، ولم يتطرق لمقاصدهم السياسية بما يؤكد نجاح الإخوان في ستر واخفاء أغراضهم التنظيمية عن أعين السلطة.

9- طابع السرية والرمزية:

لقد تعمد اخوان الصفا اخفاء أسمائهم عن عامة الناس حرصا على حياتهم المهددة من ملوك ذلك العصر، ومبالغة في كتمان ما رغبوا ألا يصل الطالب إلى معرفته بسهولة، وزهدا في شهرة كانوا يعتقدون أنها زائلة، مما يعزز الثواب الذي أملوا نيله[118]. وكانت تعاليمهم في غاية السرية مغلقة بالرموز والأعداد، حيث تأثروا بالأفلاطونية[119] المحدثة والفيثاغورية[120] وكان لذلك سببا في انتشار دعوتهم. كما كان للرمزية أثرها في تنظيمهم الداخلي– وسيأتي بيانه في موضع قادم– بما يؤكد أن طابها السري قد كفل اخلاص أعضائهم وسلامتهم من تتبع السلطة السياسية[121]، وساهم في جذب غيرهم للانضمام إليهم، لأن السرية والخفاء والغموض مما يستهوي الخيال بوجه عام، ويطلق الأوهام والأحلام، وكلما كان السر أدق وأخفى، وكان اللغز أعوص وأغمض كان سحر الخفاء أشد جاذبية وأقوى إطلاقا للخيال[122]، فكان غلاف السرية والرمزية الذي أحاط اخوان الصفا تعاليمهم ومذهبهم به دافعا لكثير من الصبية والشباب والرجال للانضمام إليهم والانتظام في جماعتهم، تأثرا برهبة الرموز وتشوقا لمعرفة حقائق الأمور، والدرجة

([118]) د. صابر عبده أبا زيد محمد : فكرة الزمان عند اخوان الصفا ، ، ص 17 .

([119]) يعتبر أفلاطون هو صاحب فكرة الاخوة العلمية وعالج هذا الموضوع من خلال معالجته لموضوع الحب في محاورة المأدبة ، والمقصود من المأدبة : الاجتماع على المودة والاتصال بالألفة والمحبة . أنظر : أفلاطون: المأدبة ، ترجمة : وليم الميري ، بيروت ، ص 5 – 10 . وأفلاطون كان يكافح لنقل الأخوة العلمية من نطاق السرية التي كانت عليها لدى الفيثاغورية إلى العلانية، بما يحفظ لها وقارها وجعل الآداب من جملة أنظمتها. أنظر: المرجع نفسه، ذات الاشارة. د. محمد فريد حجاب: المرجع السابق، ص 22 .

([120]) د. صابر عبده أبا زيد محمد : فكرة الزمان عند اخوان الصفا ، ، ص 17.

([121]) وقد ذكر الأستاذ/ ديبور **أن** إخوان الصفا اعتبروا كل شيء من الأشياء الزائلة الفانية في هذا العالم، رمز لشيء آخر في عالم آخر، وحاولوا أن يقيموا على أنقاض الدين التقليدي الموروث، والآراء الساذجة فلسفة روحية تحوي معارف الإنسانية وجهودها بقدر ما وصل إليه علمهم. والغرض الذي كانوا يرمون إليه من التفلسف هو أن تتشبه النفس بالإله بحسب الطاقة الإنسانية. وقد أخفى إخوان الصفا أراءهم الانتقادية في رسائلهم بعض الإخفاء، وقد تجلت الرمزية في أبهى وأشد صورها في رسالة تداعي الحيوان والإنسان عند ملك الجان، حيث ألبسوا فيها آرائهم ثوبا رمزيا، فقالوا على ألسنة الحيوان ما لو خرج من فم الإنسان لأثار حوله الشكوك. أنظر. الأستاذ ديبور، تاريخ الفلسفة الإسلامية. ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة. دور النهضة العربية. القاهرة1954،ص 137.

([122]) علي أدهم : الجمعيات السرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة مكتبة الأسرة 2017 ، ص 6 .

العليا من درجات اخوان الصفا تدل على أن غاية الانضمام في الجماعة هو ادراك الحقيقة. وكانت هذه –ولازالت– أهم ما يشغل بال كل متعلم ومجد في طلب العلم، خاصة ما تعلق بالفلسفة وفروعها.

10- خصائص الرسائل:

لرسائل اخوان الصفا سمات تجمعها، نعرضها فيما يلي:

1- رغم أن الرسائل معنونة ومقسمة إلى فصول، إلا أنه ما من رسالة تقتصر على موضوعها الخاص بها، وهم يعترفون بذلك ففي أكثر من رسالة نجدهم بعد خروجهم عن الموضوع يقولون: " لنرجع الآن إلى ما كنا فيه" [123]

2- تنوع وتعدد موضوعاتها حتى قيل أنها شملت كل المعارف والعلوم التي عرفتها البشرية إلى عصر اخوان الصفا، وأبدوا اهتماما بالطبيعة، والرياضيات، وما بعد الطبيعة أي: الإلهيات. وكذا العلوم الاجتماعية، فتكلموا عن الأديان، والفلسفة والشعر، وعلم النفس والموسيقي، وتناولوا أيضا: البعث والحساب والجنة والنار، وحديث أبو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة دال على ذلك، إذ قال: "أنها مبثوثة في كل فن نتفا بلا اشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكتابات وتلفيقات وتلزيقات وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها"[124]

3- أنه لا يمكن البحث عن أهداف اخوان الصفا في رسائلهم وحدها دون الإلمام بما قدمه التاريخ عن حياة تلك الجماعة، وظروف عصرها. ويظهر ذلك بصفة خاصة فيما تعلق بالعقيدة الحقيقية لإخوان الصفا، والتي تنطلق منها فلسفتهم، ونظرتهم الشاملة للكون، فبالرغم من أنهم يطعمون الرسائل بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، ويتشدقون بالولاء والتشيع لآهل بيته الكرام الأطهار[125]، إلا أنهم في حقيقة الأمر بعيدون تماما عن جوهر الإسلام ومذهبه، ويظهر ذلك في فكرة الخلق لديهم، إذ قالوا بنوع من التطور الطبيعي بين الكائنات بدءا

([123]) انظر : رسائل اخوان الصفا ، الجزء الأول ، مراجعة : خير الدين الزركلي ، الرسالة الخامسة ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، القاهرة 2017 ، ص 193 .

([124]) أبو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة، مرجع سابق ، ص 164

([125]) يظهر هذا في بعض المواضع من الرسائل ، منها قولهم: "ومما يجمعنا وإياك، أيها الأخ البارُّ الرحيم، محبة نبينا عليه السلام، وأهل بيت نبيّه الطاهرين وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيّين صلوات لله عليهم أجمعين، ومما يجمعنا وإياك حرمة الأدب والخروج من جملة العوام.." رسائل اخوان الصفا ، ج4 ، ص 254 .

من الجماد، فالنبات، فالحيوان، وانتهاء بالإنسان، ويستعيرون لتفسير هذا التطور نظرية الفيض التي تسربت إلى المسلمين من الفلسفة الأفلاطونية المحدثة [126] فهم يدعون لدين عالمي تنمحي فيه الحدود بين الأديان المنزلة [127] وغيرها من الأديان الوثنية.[128]

وقد **نبه الدكتور/ حامد طاهر إلى خطورة اسلوب اخوان الصفا في التحدث بآيات القرآن وأحاديث المصطفي صلى الله عليه وسلم**؛ قائلا: "ولا ينبغي أن ينخدع القارئ بتطعيم النص ببعض آيات القرآن الكريم التي وردت بالتأكيد في غير سياقها. كما لا ينبغي أن يوحي إليه هذا الموقف المتسامح من الجماعة مع العدو والصديق أنه أمام جماعة صوفية، قد قطعت أسبابها بالدنيا، وأخلت صدورها من

([126]) د. حامد طاهر ، الفلسفة الاسلامية ، مدخل وقضايا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 1992 ، ص 200 . وللمزيد عن فكرة التطور لدى اخوان الصفا راجع ذات المرجع ، ص 209 – 220.

([127]) د. حامد طاهر: المرجع السابق ، ص 190.

([128]) وذلك يتضح من النص التالي :واعلم يا أخي أن المُقر بالآخرة المؤمن بالمعاد المصدق بها، لا يتصورها ولا يعرف حقيقتها إلا بعدما تنتبه نفسه من نوم الغفلة، وتنبعث من موت الجهالة، وتحيا بروح المعارف، وتنفتح عين البصيرة؛ فتبصر عند ذلك بنور الهداية ما هو مقرٌّ به ومصدق له، ويكون عند ذلك من أهل الأعراف، كما حُكي عن مستبشر لما سئل فقيل: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت مؤمنًا حقًّا! قيل: وما حقيقة إيمانك؟ قال: أرى كأن القيامة قد قامت، وكأني بعرش ربي بارزًا، وكأن الخلائق في الحساب، وكأني بأهل الجنة فيها منعمين، وأهل النار فيها معذبين. فقيل له: قد أصبتَ فالزم عين الطريق. وإليه وإلى أمثاله أشار جل ثناؤه بقوله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهم الرجال الذين ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ (تعالى) ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾. فهل لك يا أخي أن ترغب في صحبتهم وتسلك طريقهم وتطلب منهاجهم وتتخلق بأخلاقهم وتسير بسيرتهم وتنظر في علومهم؛ لتعرف مذهبهم وتعتقد رأيهم وتعمل مثل عملهم؛ لعلك تحشر معهم وتفوز بمفازتهم ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وهم أولياء الله وعباده الصالحون الذين استثناهم بقوله في قصة إبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾. فإذا أردت يا أخي أن تعرف وتعلم أأنت منهم أم من غيرهم، فاعلم أن لهم علامات يُعرفون بها، وسمات يستدل عليهم بها: فمن علامات أولياء الله المبعوثين من موت الجهالة، المنبهين من رقدة الغفلة، المستبصرين بعين اليقين ونور الهداية، العارفين بحقائق الأشياء، الشاهدين حساب يوم الدين؛ أنهم قوم تستوي عندهم الأماكن والأزمان وتغايُر الأمور وتصاريف الأحوال؛ فقد صارت الأيام كلها عندهم عيدًا واحدًا وجمعة واحدة، وصارت الأماكن كلها لهم مسجدًا واحدًا، والجهات كلها قبلة ومحرابًا، أينما تولوا فثم وجه الله، وصارت حركاتهم كلها عبادة الله وسكوناتهم طاعة له، استوى عندهم مدح المادحين وذم الذامّين، لا يأخذهم في الله لومة لائم، قيامًا لله بالقسط، شهداء لله بالحق، وهم على صلواتهم دائمون، وإنما استوت عندهم الأماكن كلها وصارت مسجدًا وقبلة ومحرابًا واحدًا لتصديقهم قول الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾، وصاروا شهداء بمشاهدتهم له وتصديقهم قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. وإنما استوت عندهم الأيام كلها فصارت جمعة وعيدًا لمشاهدتهم يوم القيامة الذي بعثت أنا » : هو من أول ما بعث الله محمدًا عليه السلام إلى تمام ألف سنة كما قال صلى الله عليه وسلم «. والقيامة كهاتين وأيضًا فإنما استوى عندهم تغايُر الأزمان وتصاريف الأحوال لتصديقهم قول الله تعالى :﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، وصار دعاؤهم مستجابًا لأنهم لا يسألونه إلا ما يكون، ولا يكون إلا ما قدر في سابق العلم، فقلوبهم في راحة من التعلق بالأسباب، وأبدانهم فارغة من تكلف ما لا يعنى به، ونفوسهم ساكنة عن الوسواس، وهم في راحة من أنفسهم والناس منهم في راحة وأمان، لا يريدون لأحد سوءًا ولا يضمرون شرًّا لأحد من الخلق، عدوًّا كان أو صديقًا، مخالفًا كان أو موافقًا. رسائل اخوان الصفا ، ج 3 ، ص 108 – 109.

التعلق بها، واستوى عندها – على حد التعبير – مدح المادحين وذم الذامين .. لأننا ما نلبث أن نجد هذه الصوفية أو الشفافية قد اختفت أمام الدعوة إلى تنظيم عقلي، ينصب من العقل رئيسا للجماعة، ويلزمها قضاياه وشرائطه"[129]. "وإذا كان العقل رئيس الجماعة[130]، فقد كان من الممكن الاكتفاء بأن تلتقي هذه الجماعة على أسسه وقوانينه، ولكن الأمر يتجاوز بالتأكيد هذا اللقاء الفكري، فيدعو الشخص إلى الانخراط في جماعة لها سلوكها الخاص ، ومبادئها المعينة"[131] ومن ذلك قولهم في الرسائل: " فهلمَّ إلى مجلس إخوان لك نصحاء أو أصدقاء لك كرماء فضلاء أخيار علماء محبين لك متوددين إليك، فيعرفوك ما لا تنكره ويعلموك ما تتيقنه، ولا تشك فيه بشواهد من نفسك وبراهين من ذاتك ودلائل من جوهرك، إذا انتبهت نفسك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة، ونظرت بعين البصيرة كما نظروا، وسرت بسيرتهم العادلة كما ساروا، وعملت بسنتهم الحسنة وتفقهت في شريعتهم العقلية، ودخلت مدينتهم الروحانية، وتخلقت بأخلاقهم الملكية وعرفت آراءهم الصحيحة، وتعلمت معلوماتهم الحقيقية؛ فحينئذ تؤيد بروح الحياة الأبدية وتعيش عيش السعداء منعمًا مخلدًا أبدًا بنفسك الباقية الزكية لا بجسدك البالي المستحيل."[132] وقد تكرر منهم ذلك في مواضع أخرى من الرسائل [133]

([129]) د. حامد طاهر : المرجع السابق ، ص 190.

([130]) " واعلم أنه ما من جماعة تجتمع على أمر من أمور الدين والدنيا وتريد أن يجري أمرها على السداد وتكون سيرتها على الرشاد إلا ولا بد لها من رئيس يرأسها؛ ليجمع شملها ويحفظ نظام أمرها ويراعي تصرُّف أحوالها، ويرمُّ على الانتشار جماعتها، ويمنع من الفساد صلاحها؛ وذلك أن الرئيس أيضًا لا بد له من أصل عليها يبني عليه أمره ويحكم به بينهم. وعلى ذلك الأمر بحفظ نظامهم، ونحن قد رضينا بالرئيس على جماعة إخواننا والحَكَم بيننا العقل الذي جعله الله تعالى رئيسًا على الفضلاء من خلقه الذين هم تحت الأمر والنهي، ورضينا بموجبات قضاياه على الشرائط التي ذكرناها في رسائلنا وأوصينا بها إخواننا، فمَنْ لم يرضَ بشرائط العقل وموجبات قضاياه ولم يقبل تلك الشرائط التي أوصينا بها إخواننا أو خرج عنها بعد الدخول فيها فعقوبته في ذلك أن نخرج من صداقته ونتبرأ من ولايته ولا نستعين به في أمورنا ولا نعاشره في معاملتنا ولا نكلِّمه في علومنا، ونطوي دونه أسرارنا، ونوصي بمجانبته إخواننا؛ اقتداءً بسنة الشريعة كما ندبنا إليه ربنا، جل وعز، فقال :﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ وقال عز وجل :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ﴾ الآية. رسائل اخوان الصفا ، ج4 ، ص 201 .

([131]) د. حامد طاهر : المرجع السابق ، ص 191 .

([132]) رسائل اخوان الصفا ، ج2 ، ص 343.

([133]) أنظر، رسائل اخوان الصفا ، ج2 ، ص 42. وص 403. وأنظر أيضا، رسائل اخوان الصفا ، ج4 ، ص 42. وص 157. و ص 200 . و ص 207 . و ص 234.

المبحث الثاني

العدالة في فكر إخوان الصفا

تحتل قيمة العدالة منزلة مهمة بين القيم في العلوم المعيارية (القانون – الأخلاق – الاجتماع – السياسة)؛ وذلك لما تنطوي عليه من أهمية، سواء على المستوى الفردي أم المستوى الاجتماعي؛ فهي على المستوى الفردي لا تُعد مجرد قيمة أخلاقية فقط؛ ولكنها عنوان "اجتماع كل القيم" في الفرد، ودليل كماله. وهي على المستوى الاجتماعي لا تقتصر على كونها تحمل معنى التعاون والبذل والإنصاف؛ وإنما تعني سائر الشروط المطلوبة لقيام مجتمع سليم. وفي المجال السياسي تأتي قيمة العدالة على رأس منظومة القيم المؤسسة للسياسة الحكيمة، ويفترض وجودها عند كل من يتحدث عن الحكم الصالح، أو المدينة الفاضلة. فإقامة مجتمع ما على أُسسٍ من السياسة العادلة يفترض الحديث عن مفهوم السلطة وشرعيتها، ويدور حول مصدر هذه السلطة، ومن يمارسها، وكيفية انتقالها إليه، وحالة الرضا أو الإكراه التي تقوم بين الحاكم والمحكومين، والتي تقود إلى استقرار المجتمع وازدهاره، أو تراجعه واندثاره.[134]

وقد كانت فلسفة اخوان الصفا نتاج عصرهم، وهي سنة الفلسفة، فبعض الفلاسفة عرفها – أي الفلسفة– بأنها: "عصرها معبرا عنه بالأفكار"[135]، ومن ثم كانت أفكارهم عن العدالة تأتي في إطار عصرها وفي إطار غايتهم السياسية التي يبغون الوصول إليها.

فتأثرت فلسفة أخوان الصفا بسمات العصر الذي عاشوا فيه، فقد نشأت الجماعة وتكونت وانتشرت في العصر العباسي وهو عصر تحول كبير خاصة ما كان في القرن الرابع الهجري من انتشار للشعوبية، والنزعات العرقية، وطابع التشيع لأهل البيت النبوي، وسيادة الجدل حول نظرية الإمامة الشيعية، ونظرية

([134]) د/ منى أحمد أبو زيد: العدالة والشرعية عند مفكري الإسلام، مقال منشور بمجلة التفاهم، ص 35 . منشور على الرابط :
https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjOrP_7toP-AhWlUqQEHcoiBqwQFnoECCYQAQ&url=https%3A%2F%2Ftafahom.mara.gov.om%2Fstorage%2Fal-tafahom%2Far%2F2015%2F047%2Fpdf%2F03.pdf&usg=AOvVaw2sDHH3fUX1Aqu0WoDJouEI

([135]) أنظر ، د. عبدالغفار مكاوي : لم الفلسفة مع لوحة زمنية بمعالم تاريخ الفلسفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة مكتبة الأسرة ، القاهرة 2016 ، ص 12 .

الخلافة السنية، وما دار من جدل فكري وفلسفي حول بعض المسائل العقائدية كمشكلة خلق القرآن، والتخيير والتسيير، وغير ذلك من المسائل التي سيطرت على علم الكلام، منذ نهاية القرن الثاني الهجري واستمرت في القرنين الثالث، والرابع الهجريين.

كما كان لانتشار الترجمة عن فلاسفة اليونان أثر كبير في انتشار هذا النمط من التفكير في بلاد العرب والمسلمين ، وهو ما كان له الأثر البين في فكر اخوان الصفا .

وعلى المستوى السياسي، نجد أن القرنان الثالث والرابع الهجريان كانا مرحلة فاصلة في تاريخ العرب والمسلمين، سواء من حيث اضمحلال دور العرب السياسي، وانتشار النعرات الشعوبية، وسيادة الصراع بين الترك والفرس على مقاليد السلطة في الدولة العباسية التي اعتمدت على غير العرب في إدارتها، مما أفقد العرب تميزهم، وبات الاعتقاد السائد وقتئذ هو تميز غير العرب على العرب في مسائل الحكم والإدارة، والسياسة، وممارسة السلطة، إلى جانب ما أدى إليه ضعف الخلفاء العباسيين من استقلال بعض الولاة والأمراء بأقاليمهم عن الدولة العباسية، بل واعتراف الخليفة العباسي بذلك لهم نتيجة لضعف سلطانه وقلة حيلته، وما أدى إليه سوء الإدارة من وجود أزمات اقتصادية طاحنة أدت بالمجتمع إلى الفوضى في كثير من الأحيان، وما كان من اهتمام العمال والولاة بجمع الضرائب وسيادة الظلم والرشوة والفساد، فعم الاضطراب البلاد، وعمت نقمت الناس على الولاة والحكام، لما لحقهم من ظلم وما آلت إليه أحوالهم من افتقار. ونتج عن ذلك أن شغلت الأبعاد السياسية لقضية العدالة مكانًا بارزًا لدى مفكري الإسلام، ونما الفكر السياسي وترعرع في أحضان المناظرات والخلافات السياسية، في واقع مليء بالصراعات حول السلطة، والذي كان في أحيان كثيرة بعيدًا عن الصورة المثلى للمدينة الفاضلة، فشغل علاج هذا الواقع اهتمام المفكرين، سعيًا وراء تحقيق العدالة في الدولة، حكمًا وحكامًا.[136]

وفي ظل هذه الأحوال نشطت دعوة اخوان الصفا، وزعموا أن من بينهم أعضاء من أبناء الملوك والأمراء والولاة والحكام، كما أن لهم أخوة من قادة الجيوش، وغيرهم من مختلف الفئات الاجتماعية، تشجيعا للراغبين في السلطة والمناصب من الانتماء إليهم، والاستقواء بهم، خاصة الطامحين ممن أعجزهم أصلهم الوضيع أو افتقارهم للمال أو الشرف عن بلوغ آمالهم وأحلامهم، وكان زعم اخوان الصفا في

([136]) د/ منى أحمد أبو زيد: المرجع السابق، ص 46.

اعتقادهم بالمساواة بين الناس دافعا لهؤلاء للانتماء إليهم، فاستقووا بهم، واتخذوهم وسيلة للوصول إلى غاياتهم. في إطار هذه الصورة المجملة عن عصر اخوان الصفا، نتكلم عن فكرة العدالة لديهم في إطار ما اشتملت عليه رسائلهم من أفكار.

ونشير أن اخوان الصفا ليس لهم منهج واحد يعبر عن فلسفتهم ورؤيتهم للعدالة، بل لهم منهج نظري، وآخر عملي. فالمنهج النظري: وهو الصورة الفلسفية المثالية لفكرة العدالة، والمنهج العملي هو ما ظهر من ممارسات اخوان الصفا في واقع الحياة هو يناقض تلك الصورة المثالية التي يجدها القارئ في منهجهم النظري. وعلى ذلك نعرض لكلا المنهجين فيما يلي:

1- الإطار الفلسفي (النظري) للعدل عند خوان الصفا :

العدل عند اخوان الصفا خُلق[137] من أشرف الأخلاق[138]، وجعلوه من أهم صفاتهم، فضمنوه اسم جماعتهم ((إخوان الصفا وخلان الوفا أهل العدل وأبناء الحمد))[139] وجعلوه أهم سمة من سمات من يسوس الناس ويحكم بينهم، فقالوا "وهكذا من كان مطبوعًا على الاعتدال؛ سهُل عليه الحكومة في الخصومات والعدل والنصفة في المعاملات".[140] ومن أهم واجبات الملوك فقالوا: "وإنما المراد من الملوك حسن السياسة والعدل في الحكومة"[141] ، [142] .

([137]) رسائل إخوان الصفا: ج1 ، ص 195.
([138]) رسائل إخوان الصفا: ج1 ، ص 198.
([139]) أبو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة، تحقيق، هيثم خليفة الطعيمي ،المكتبة العصرية ، ص163-164.
([140]) رسائل إخوان الصفا: ج1 ، ص 251.
([141]) رسائل إخوان الصفا: ج2 ، ص 214.
([142]) ويرى اخوان الصفا أن العدل مرتبط بكوكب المشترى ، حيث ورد في رسائلهم: "ثم يدخل الشهر الثاني فيصير التدبير للمشتري بإذن الله — عزَّ وجلَّ — وهو كوكب الاعتدال، وعلة صحة المزاج في الكائنات، وسبب النظام والترتيب في الموجودات، وهو دليل العقل في الإنسان والفهم والتمييز والعلم والروية والفقه والدين والورع والتُّقَى والعدل والإنصاف والعفَّة والزهد، وما شاكل هذه من الخصال المحمودة في الدين". رسائل إخوان الصفا: ج3 ، ص 311. "وأما إذا استولى المشتري الذي هو السعد الأكبر على مواليد الناس؛ دل لهم على حسن الأخلاق، وجودة النفس، ومحبة الخير والعمل به، والعدل والإنصاف في المعاملات، والتمسك بالدين وكثرة العبادة." رسائل إخوان الصفا: ج3، ص 145 . كما يرتبط العدل عندهم بيوم القيامة والكتاب والميزان، فقالوا: "وإذ قد تبيَّن لك يا أخي ما الغرض من المكث في الرحم مدة ما، وما الغرض من المكث في الدنيا مدة ما أيضًا، فبادِرِ الآن وتشمَّر وتزوَّد فإن خيرَ الزاد التقوى، وشدَّ وسطك للرحيل من الدنيا الفانية إلى دار القرار الباقية قبل فناء العمر وتقارُب الأجَل، فقد أعذر مَن أنذر كما قال الله تعالى :فبَعَث الله النبيّين مُبشّرين ومُنذِرين وأنزَلَ معهم الكتابَ والميزان، يعني العدل ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أن يقولوا يوم القيامة ما جاءنا من رسول، ولا كتاب، وكانت أعمارنا ناقصة قصيرة وآجالنا قريبة، فارجعنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل" . رسائل إخوان الصفا: ج2 ، ص 326 -327.

وقد عرفوا العدل بأنه "التوسط بين الإيجاز المخل والإطناب الممل"[143] فقالوا عند حديثهم عن البلاغة : "ثم اعلم أن جميع هذه المعاني وما يتعاقبها من مدح أو ذم ويدخلها من صدق وكذب وبلاغة وحصر فلا بُدَّ من أن يقع على مسمّى باسمٍ مِن مدح أو ذم، وكل مسمّى باسم فيه مدح من سائر المعاني، فهو واقع بين اثنين متضادين؛ عدل بين حاسَّتَي جور؛ فالعلم واقع بين أمرين إما علمُ ما لا يجب أو جهل ما يجب، فصار العدل بين حاستين إفراط وتفريط. وعلى هذا المثال الفهم عدل بين الاعتراف بما لا يمكن وإنكار ما يمكن. واللب أيضًا عدل بين الحصر عن التفهيم والتراخي عن التوهم، والعزم عدل بين التهور والجبن، والجود عدل بين التقتير والتبذير، والشجاعة عدل بين الإقدام والإحجام. وعلى هذا المثال يقع كل اسم من أسماء القصد والحزم وكل وصف يستحق به صاحبه المدح وبإزائه ما يستحق عليه الذم. واعلم أن حقيقة مطالب معنى العدل بأن تصرف في فنون المسمَّيات، وتقسم في وجوه العبارات، وذلك أن القصد هو الذي لا يجزي ما دونه ولا ينفع ما فوقه فهو راجع إلى معنى العدل الذي ما نقص عنه كان ضعفًا وما زاد عليه كان إسرافًا. وكذلك الحزم أيضًا ما لم يمِلْ إلى إحدى حاشيتيه اللتين إحداهما الفشل والأخرى التهور، وكذلك الحياء الذي طرفاه الفتور والقحة وكلٌّ يرجع من العدل إلى انقباض بين ازدياد على حدة وانتقاص ويئول إلى انبساط منه وتفريط وإفراط. **فمن طلب العدل في جميع الصفات وجده متوسطًا بين ضدين**؛ أحدهما يتطرق دونه إلى بخس ونقصان، والآخر يتطرق فوقه إلى إفراط وعدوان، والعدل في الطلب هو ما لم يمِلْ إلى الإلحاح في المسألة ولا إلى الابتهال والخضوع، والحر لا يكون مَهينًا والكريم لا يكون لجوجًا. ولهذا قيل القنوع خير من الخضوع، والعدل في السياسة ما لم يمل إلى عبوس موحش ولا ملق مدهش؛ فإن العبوس يشين المودة ويزيل ما في القلب من صفاء المحبة، والملق يذهب برونق المروءة. ولهذا قيل من كثر ملقه لم يعرف وده، والعدل في البلاغة ما لم يقصر عن درك البغية، وإصابة المعنى وقصد الغرض.[144]

([143]) مصطفى صمودي : المدينة الفاضلة عند اخوان الصفا ، اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربي ، العددان : 130 – 131 ، ص 161 .

([144]) رسائل اخوان الصفا ، الجزء الثاني ، مراجعة : خير الدين الزركلي ، الرسالة السابعة عشر ، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي ، القاهرة 2017، ص 433 .

وهذا النص –على طوله– يوضح قدر نضوج واكتمال ملكتهم الفلسفية في تحليل وتأصيل فكرة العدل، من جميع جوابها، بصورة تؤكد مثالية فكرة العدل عندهم، وهي ما اعتمد عليه اخوان الصفا في الدعوة لمذهبهم، وكان ترويجها سببا في انضمام الكثيرين إلي جماعتهم.

2– الإطار العملي لفكرة العدل عند اخوان الصفا:

فتلك إذن هي نظرتهم التأصيلية لفكرة العدل، لكن تطبيقهم لهذه الفكرة في فلسفاتهم لم تسر على خط مستقيم، إذ لا يعترف بالقيم بصفة عامة إلا في العلاقة بين اخوان الصفا وبعضهم البعض، أما غيرهم ممن أطلق عليهم: "أهل المدن الجائرة"، فيجب أن يكون لإخوان الصفا اسلوب يتعاملون به معهم، وهو اسلوب يختلف تمام الاختلاف عن ذلك الذي يتعاملون به بينهم. إذ أنهم أحلوا وأباحوا الكذب، والغدر، والخيانة، طالما كان ذلك في صالحهم.

فقد كان لهم أخلاق يتعاملون بها فيما بينهم، وأخلاق أخرى مناقضة لتلك يتعاملون بها مع الآخرين،[145] إذ يقولون في الرسائل: "وينبغي أن يكون لأهل المدينة سيرة جميلة كريمة حسنة يتعاملون بها فيما بينهم، وأن يكون لهم سيرة أخرى يعاملون بها أهل المدن الجائرة"[146]

وعلى ذلك فإن النظر للأفكار المثالية التي تحدث عنها اخوان الصفا يجب أن يوضع في إطار فهم حقيقة مذهبهم السري، وكيف أنهم استحلوا لأنفسهم في معاملتهم غيرهم كل ما نهو عنه فيما بينهم، وهو ما يمثل معضلة حقيقية في فهم حقيقة أفكارهم الأخلاقية، خاصة عن فكرة العدل كما ذكرنا، فكيف يكون للمرء سيرتان يتعامل بهما، تناقض كل منهما الأخرى، أليس هذا إلا نوع من النفاق الصريح؟!!

([145]) وهذه كلها من شيم اليهود. إذ كان اليهود يعتبرون أن احترام العهود يجب أن يكون بين اليهود فقط أما الأجنبي فالقاعدة في التعال معه هي عدم احترام العهد، وذلك لنص التوراة على :"ألا تقطع لهم عهدا". رواجع في ذلك ، بحثنا : التأثيم بين الدين والقانون ، الإلهي والوضعي- دراسة في فلسفة القانون..

([146]) رسائل اخوان الصفا ، ج4 ، ص 236

المبحث الثالث

الفكر السياسي والاجتماعي عند اخوان الصفا

كانت الغاية التي انطلق منها اخوان الصفا في فكرهم الفلسفي خاصة في جانبه السياسي مشوبة بالإبهام والغموض، إذ ادعو أن الشريعة دنست بالجهالات، وهو ما ألجأهم لتطهريها بالفلسفة، وهم يمهدون لخلط أفكارهم الفلسفية بمبادئ العقيدة الدينية حتى انتهى بهم الحال للدعوة لدين عقلي عالمي يجمع كل الأديان (السماوية والوثنية) والمذاهب الفلسفية. وبلا شك كان لذلك أثره الواضح في فكرهم السياسي والاجتماعي بصفة عامة، وفي نظم مدينتهم الفاضلة بصفة خاصة، ولإبراز ذلك نقسم هذا المبحث إلى مطلبين، نتناول في الأول أنواع الفكر السياسي عند أخوان الصفا، وفي المطلب الثاني نتناول فكرة الاجتماع الفاضل عند اخوان الصفا.

المطلب الأول

الفكر السياسي عند اخوان الصفا

عرفت رسائل إخوان الصفا – إلى أمد قريب– بكونها تجمع بين المعارف الفلسفية وبين الإشارات السياسية، ومن النادر أن ينظر إليها أهل الاختصاص على أنها رسائل سياسية، ويرجع السبب في ذلك أن موضوع السياسة تم معالجته في جزء صغير من الرسالة الجامعة، ومما يثير العجب – كما يقرر البعض– أن هذه الموسوعة التي جمعت العلوم والمعارف فاوعتها – حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي – ليس من بينها رسالة واحدة أو فصل خاص بالعلوم السياسية التي عرض لها بعض أهل زمانهم وبشكل خاص المعلم الثاني الفارابي (339 هـ – 950 م) حتى قيل أن إخوان الصفا لم يكن لهم كثير الاهتمام بالنشاط السياسي.[147] لكن التأمل في عصرهم[148] والملابسات التي أحاطت تأليف

([147]) راجع : د/ عز الدين فودة: مقدمته لكتاب د/ محمد فريد حجاب : مرجع سابق، ص 5.

([148]) كانت الحياة السياسية السائدة في زمن اخوان الصفا تتسم بالفساد، وقدر ظهر ذلك في الرسائل؛ لأن الذين كتبوها جماعة لا نكاد نعرف منهم أحدًا؛ لأنهم كانوا يعملون من وراء ستار، وكانوا يعملون لغرض سياسي قبل كل شيء، فهم كانوا خصومًا للنظام السياسي القائم في بغداد كما لم يكونوا أنصارًا مخلصين للنظام السياسي القائم في القاهرة، لم يكونوا يرتاحون إلى خلافة العباسيين، ولم يكونوا يحبون خلافة الفاطميين، وإنما كانت لهم أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف. كان هؤلاء الناس إذن يعملون من وراء ستار، ويؤلّفون جماعة سرية، وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر، سياسي وعقلي، فهم يريدون قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الإسلامي يومئذٍ، وهم يتوسلون إلى ذلك بقلب النظام العقلي المسيطر على حياة المسلمين أيضًا، وهم يسلكون في ذلك مسلك جماعات سبقتهم في العالم القديم أظهرها جماعة الفيثاغوريين في المستعمرات اليونانية الإيطالية، فقد كانت هذه الجماعة مبغضة للنظام السياسي اليوناني المألوف، وكانت

الرسائل واسلوب نشرها يؤكد أن لهم مشروع فكري له أهداف سياسية، وقد أدرجوها في رسائلهم.[149] بصورة تتفق مع منهجهم وتخدم غايتهم التي حددوها.

1- تقسيم إخوان الصفا للعلوم والمعارف:

قسم اخوان الصفا العلوم إلى ثلاثة أجناس، هي: الرياضية، والشرعية الوضعية، والفلسفية الحقية. وأدخلوا السياسة ضمن العلوم الفلسفية التي قسموها إلى أربعة أقسام رئيسية هي: الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والإلهيات، وتناولوا السياسة ضمن الإلهيات حيث جاءت الرابعة في ترتيب الإلهيات فسبقها ثلاث: الأول: علم معرفة الله وصفاته ..[150]، والثاني: علم الروحانيات[151]، والثالث: علم النفسانيات[152]، وسبقت الخامس وهو علم المعاد[153]. وعلى ذلك فقد كانت السياسة عند اخوان الصفا من العلوم الإلهية، وهو ما كان له أثره في أنواع السياسات عندهم. وهو ما نتناوله حلا:

تريد قلبه وتغييره، وكانت تتوسل إلى ذلك بوسائل أهمها تغيير النظام العقلي، وإنشاء فلسفة جديدة تكوّن الحياة العقلية والعلمية للفرد والجماعة تكوينًا جديدًا يلائم بينها وبين السياسية الجديدة، ويمكِّن هذه الجماعة من السيطرة على الأمُور العامة .وقد وُفِّقت هذه الجماعة الفيثاغورية بعض التوفيق، وحاول أفلاطون شيئًا من ذلك فوفّق من الجهة العقلية، وتخيل نظامًا سياسيًا بسطه في كتاب الجمهورية وكتاب القوانين، وأقامه على الفلسفة الأفلاطونية كلها . د/ طه حسين : في تقديمه لرسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، ج1 ، مرجع سابق، ص 12.

([149]) د/ محمد الناصر صديقي: التنظير السياسي في أدبيات إخوان الصفا بين خطاب العدالة والبشارات المهدوية، أعمال المؤتمر الدولي الرابع: السياسي في البلاد الاسلامية- الفكر والانماط والأماكن، جامعة منوبة مخبر النخب والمعارف والمؤسسات الثقافية بالمتوسط، أكتوبر 2015 ، ص 145.

([150]) والعلوم الإلهيةُ خمسةُ أنواع: أولها معرفةُ الباري — جَلَّ جلالُهُ — وعم نواله وصفة وحدانيته وكيف هو علة الموجودات وخالق المخلوقات وفائض الجود ومعطي الوجود ومعدن الفضائل والخيرات وحافظ النظام ومبقي الدوام ومدبر الكل وعالم الغيب والشهادة لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرة في الأرض ولا في السماء، وأول كل شيء ابتداءً وآخر كل شيء انتهاءً وظاهر كل شيء قدره وباطن كل شيء علمًا، وهو السميع العليم اللطيف الخبير الرءوف بالعباد، عز شأنه، وجَلَّتْ قدرتُهُ، وتعالى جَدُّه، وجل ثناؤه، ولا إله غيره، تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. (رسائل اخوان الصفا، مراجعة : خير الدين الزركلي، ج1 ، ص 227.)

([151]) وهو معرفةُ الجواهر البسيطة العقلية العَلاَّ مة الفَعالة التي هي ملائكةُ الله، وخالص عباده وهي الصورُ المجردةُ من الهيولى، المستعملة للأجسام المدبرة بها لها ومنها أفعالها ومعرفة كيفية ارتباط بعضها ببعض وفيض بعضها على بعض، وهي أفلاكٌ روحانيةٌ محيطاتٌ بالأفلاك الجسمانية. (الرسائل ، ج1 ، ص 227)

([152]) وهي معرفةُ النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض ومعرفة كيفية إداراتها للأفلاك وتحريكها للكواكب وتربيتها للحيوان والنبات وحلولها في جُثث الحيوانات وكيفية انبعاثها بعد الممات. (الرسائل: ج1، ص 227)

([153]) وهو معرفة ماهية النشأة الأُخرى وكيفية انبعاث الأرواح من ظُلمة الأجساد وانتباه النفوس من طُول الرقاد وحشرها يوم المعاد وقيامها على الصراط المستقيم وحشرها لحساب يوم الدين ومعرفة كيفية جزاء المحسنين وعقاب المسيئين. (الرسائل ، ج1 ، ص 229)

2- أنواع السياسات عند إخوان الصفا :

ذكر إخوان الصفا أن العلم الرابع من الإلهيات هو علم السياسة، والسياسة عندهم خمسة أنواع: أولها السياسة النبوية، والثاني السياسة الملوكية، والثالث السياسة العامية، والرابع السياسة الخاصية، والخامس السياسة الذاتية.[154] ونتناول كل نوع منها فيما يلي تباعا:

النوع الأول : السياسة النبوية: وهي معرفة كيفية وضع النواميس المرضية والسنن الزكية بالأقاويل الفصيحة ومداواة النفوس المريضة من الديانات الفاسدة والآراء السخيفة والعادات الردية والأفعال الجائرة ومعرفة كيفية نقلها من تلك الأديان والعادات، ومحو تلك الآراء عن ضمائرها بذكر عيوبها ونشر تزييفها ومداواتها من سقام تلك الآراء وتلك العادات بالحمية لها من العود إليها وشفائها بالرأي المرضي والعادات الجميلة والأعمال الزكية والأخلاق المحمودة بالمدح لها والترغيب في جزيل الثواب يوم المآب. وكيفية سياسة النفوس الشريرة بصدودها عن قصد سبيل الرشاد وسلوكها في وعور طرق الغي والتمادي بالقمع لها والزجر والوعيد والتوبيخ والتهديد؛ لترجع إلى سبل النجاة وترغب في جزيل الثواب ومعرفة كيفية تنبيه الأنفُس اللاهية والأرواح الساهية من طول الرقاد ونسياها ذكر المعاد، والإذكار لها عهد يوم الميثاق؛ لئلا يقولوا ما جاءنا من رسول ولا كتاب، وهذه السياسةُ تختص بها الأنبياء والرسل — صلوات الله عليهم.[155]

والسياسة النبوية عند إخوان الصفا هي أرقى أنواع السياسة ، ويتضح ذلك من قولهم: "واعلم يا أخي أنه ليس من علم ولا عمل ولا صناعة ولا تدبير ولا سياسة مما يتعاطاه البشر هو أعلى منزلةً ولا أسنى درجةً، ولا في الآخرة أكثر ثوابًا، ولا بأفعال الملائكة أشد تشبهًا، ولا إلى الله أقرب قربةً، ولا لرضاه أبلغ طلبًا من وضع الشرائع الإلهية"[156]. ويختص بها الأنبياء والرسل.[157]

النوع الثاني : السياسة الملوكية: وهي معرفة حفظ الشريعة على الأمة، وإحياء السنة في الملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإقامة الحُدُود وإنفاذ الأحكام التي رسمها صاحب الشريعة، ورد المظالم

([154]) رسائل اخوان الصفا، ج1 ، ص 228.
([155]) رسائل اخوان الصفا، ج1 ، ص 228.
([156]) رسائل اخوان الصفا ، ج4 ، ص 202.
([157]) د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق ، ص 350.

وقمع الأعداء وكف الأشرار ونصرة الأخيار، وهذه السياسة يختص بها خلفاء الأنبياء — صلوات الله عليهم — والأئمة المهديون الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.[158]

ويفرق إخوان الصفا بين رئاسة خلفاء الأنبياء والأئمة المهديين الذين يتمتعون في عصر الإخوان بسلطة "الرئاسة الروحية" وبين ملوك الجور الذين لا يمكن أن يطلق عليهم خلفاء الأنبياء، فهؤلاء الملوك يمثلون – في نظر الإخوان – "الرياسة الجسمانية"، ولهذا يقولون: " ثم اعلم أيها الأخ، أن الرياسة نوعان: جسماني وروحاني، فالرياسة الجسمانية مثل رياسة الملوك والجبابرة الذين ليس لهم سلطان إلا على الأجسام والأجساد بالقهر والغلبة والجور والظلم، ويستعبدون الناس ويستخدمونهم قهرًا في إصلاح أمور الدنيا وشهواتها والغرور بلذاتها وأمانيها. وأما الرياسة الروحانية فمثل رياسة أصحاب الشرائع الذين يملكون النفوس والأرواح بالعدل والإحسان، ويستخدمونها في الملل والشرائع لحفظ الشرائع وإقامة السنن والتعبد بالإخلاص والتألُّه برقة القلوب، واليقين بنيل الثواب والفوز والنجاة والسعادة في المعاد.[159] وتجدر الإشارة هنا أن الفارابي واين سينا – أشهر الفلاسفة السلمين – لم يتعرضا للسياسة النبوية والسياسة الملوكية عند تصنيفهم وتقسيمهم للسياسة، ويرجع ذلك – حسب قول البعض – إلى أن الفارابي وابن سينا كانا مفكرين نظريين أما إخوان الصفا فقد كانت تجمعهم حركة فكرية وثورية معا، ومن ثم جعلوا السياسة النبوية والسياسة الملوكية من أقسام السياسة لأن ذلك يخدم أهدافهم العملية، وباعتبار أن أئمتهم هم خلفاء النبي عليه السلام، وهم أصحاب السياسة الروحية في دور الستر، والروحانية الجسمانية في دور الكشف حينما يتحقق هدفهم في إقامة المدينة الفاضلة.[160]

النوع الثالث: السياسة العامية : وهي الرياسة على الجماعات كرياسة الأمراء على البلدان والمدن، ورياسة الدهاقين على أهل القرى، ورياسة قادة الجوش على العساكر وما شاكلها؛ فهي معرفةُ طبقات المرءوسين وحالاتهم وأنسابهم وصنائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم وترتيب مراتبهم ومراعاة أُمُورهم وتفقُّد أسبابهم

([158]) رسائل اخوان الصفا، ج1 ، ص 228.
([159]) رسائل اخوان الصفا ، ج4 ، ص 202.
([160]) د/ محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا، مرجع سابق، ص 351.

وتأليف شملهم والتناصُف بينهم وجمعْ شتاتهم واستخدامهم في ما يصلحون له من الأُمُور واستعمالهم في ما يشاكلهم مِن صنائِعِهم وأعمالهم اللائقة بواحدٍ واحد منهم. [161]

النوع الرابع: السياسة الخَاصية: هي معرفة كل إنسان كيفية تدبير منزله وأمر معيشته ومراعاة أمر خَدَمِهِ وغلمانه وأولاده ومماليكه وأقربائه، وعشرته مع جيرانه وصحبته مع إخوانه وقضاء حقوقهم، وتفقد أسبابهم والنظر في مصالحهم من أُمُور دنياهم وآخرتهم. [162] وقد ميز إخوان الصفا السياسة بين نوعين من السياسة الخاصية، هما:

(أ) السياسة الخاصية الجسمانية: وهي التي تتبع إزاء الأهل من الإخوة والزوجة والأولاد ومن يجري مجراهم في النسبة الجسمانية مثل العبيد والغلمان والحاشية.

(ب) السياسة الخاصية النفسانية، وهي التي تتبع إزاء الأصدقاء الذين هم من أهل النسبة النفسانية الروحية.[163] وتبدوا أهمية سياسة الأصحاب عند خوان الصفا باعتبارها أحد مبادئ التنظيم السري للجماعة، بهدف تنمية حجم العضوية وجذب الأنصار والأتباع مع ضرورة مراعاة الحرص في اختبار الأصحاب والأتباع واختبارهم قبل ايقافهم على أسرار الجماعة حتى لا تتعرض لانكشاف أمرها. [164]

النوع الخامس: السياسة الذاتية: وهي معرفةُ كل إنسان نفسه وأخلاقه وتفقد أفعاله وأقاويله في حال شهواته وغضبه ورضاه والنظر في جميع أُمُوره.[165] ولما كانت أمور الإنسان الذاتية تنحصر جميعها في ناحيتين لا ثالث لهما، وهما أمور الجسد وأمور النفس، فقد عالج إخزان الصفا كل ناحية منهما في فصل مستقل، الأول خاص بالسياسة الجسمانية، والثاني خاض بالسياسة النفسية.[166] وكان هدفهم من ذلك هو أن يتعلم أعضاء الجماعة معرفة مداواة الأنفس والأجسام. حيث قالوا: "وبهذا الشأن يكمل لك يا أخي معرفة مداواة الأنفس والأجسام فتكون قد أحكمت السياستين وعرفت المنزلتين".[167]

([161]) رسائل اخوان الصفا، ج1 ، ص 228.
([162]) رسائل اخوان الصفا، ج1 ، ص 228.
([163]) د/ محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا، مرجع سابق، ص 352.
([164]) د/ محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا، مرجع سابق، ص 353.
([165]) رسائل اخوان الصفا، ج1 ، ص 229.
([166]) د/ محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا، مرجع سابق، ص 355.
([167]) رسائل إخوان الصفا، ج4، ص 356

3- الرياسة والسياسة:

إن أول ما يسترعي الانتباه في فلسفة إخوان الصفا السياسية هو استخدامهم لكلمة سياسة "بولوطيقا" في معرض ذكرهم للعلوم المنطقية، واستعملوها بمعنى كيفية سياسة الأمور ووزنها وزنا صحيحا.[168] ولهذا المعنى عرفوا البولوطيقا بأنها: "معرفة صناعة البرهان"[169] والبرهان عندهم في مرتبة أعلى من مراتب المحسوسات والمعقولات على السواء، لأن صناعة البرهان ووزن الأمور في سياسة الناس تؤدي إلى معرفة حقائق الأشياء، باعتبار أن هذه الصناعة هي ميزان العقل.[170] وذلك يتفق مع المفهوم السائد في ذلك العصر بأن السياسة هي "تاج العلوم"[171]، ولأنها ميزان الحكماء في التمييز بين الحق والباطل.[172]

ولهذا قرر إخوان الصفا أن المراد من السياسة هو صلاحُ الموجودات وبقاؤُها على أفضل الحالات وأتم الغايات.[173] وهي بذلك لا تتم إلا بعد وجود الرياسة.[174] ولكنهم في الوقت ذاته يعودون فيقررون أن الواقع يقول أن علو الهمة في النفس جبلة (أي طبيعة خلقية) لطلب الرياسة، وطلب الرياسة (يكون) من أجل السياسة، وذلك أن الناس محتاجون في تصاريف أُمُورهم إلى رئيس يسوسهم على شرائطَ معلومة.[175] وهم بذلك ينقضون ما ذكروه أولا من أن الرياسة تكون أول الأمر وتعقبها السياسة. وذلك يفسر بأن الوصول للرئاسة يتطلب في ذاته سياسة لتمكن منها. وهو نوع من تبرير وجود الجماعة وعملها السري.

([168]) د/ محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا، مرجع سابق، ص 344. د/ محمد الناصر صديقي : التنظير السياسي في أدبيات إخوان الصفا، مرجع سابق، ص 146.

([169]) رسائل إخوان الصفا، ج1 ، ص 224.

([170]) رسائل إخوان الصفا، ج3 ، ص 59. وتجدر الإشارة إلى أن العقل عند اخوان الصفا هو الإمام أو السلطة السياسية . ذكر ذلك د/ محمد فريد حجاب: المرجع السابق، ص 344.

([171]) د/ محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا، مرجع سابق، ص 345.

([172]) رسائل إخوان الصفا، ج1 ، ص 124.

([173]) رسائل اخوان الصفا ، ج1، ص 258 .

([174]) المرجع السابق، ص 258.

([175]) المرجع السابق، ص 286.

المطلب الثاني

الفكر الاجتماعي لإخوان الصفا

تعد المدينة الفاضلة عند اخوان الصفا هي غاية الاجتماع الإنساني وقد ربط اخوان الصفا بين الاجتماع الفاضل الذي ينشأ في مدينتهم الفاضلة التي اطلقوا عليها اسم (دولة أهل الخير) وبين حالة الفطرة الأولى التي عاش الانسان خلالها حياة خيرة خالية من الشرور، حيث كان المرء يعتمد على نفسه ولا يترك تصريف أموره لغيره، بل يتصرف برأيه في مصالحه في الأوقات التي تدعوه فيها طباعه.[176] فالإنسان يكون في غاية الاعتدال في حالة الفطرة. وأن الخروج من حالة الفطرة هذه هو ما جعل الانسان ممنوعا من يتصرف برأيه في الأوقات التي تدعوه إليها طبائعه المركوزة في جبلته.[177]

ويرون أن الخروج من حالة الفطرة هذه بدأ منذ ظهور الحكام والأنبياء، أي منذ هبوط آدم على الأرض.[178] وقالوا أن "المُلْك والدين أخَوان توأمان وأن الناس في طباعهم وجبلَّتهم لا يرغبون إلا في دين الملوك ولا يرهبون إلا منهم".[179] وهذا قول قريب لما ذكره البغدادي عن القرامطة والباطنية أنهم زعموا أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا الناس بالنواميس والحيل طلبا للزعامة بدعوى النبوة والإمامة.[180] كما زعم إخوان الصفا أن الله عز وجل جمع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم المُلك

([176]) د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، ص 357.

([177]) انظر : رسائل اخوان الصفا، ج 4 ، ص 26. و د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، ص 358.

([178]) رسائل اخوان الصفا، ج4، ص 389 – 390 . وتكرر منهم ذلك أيضا في مواضع أخرى فقالوا:"وآدم أبو البشر الترابي له الحكم في هذه الأرض والربوبية على جميع ما فيها إلى يوم القيامة الكبرى" انظر، رسائل اخوان الصفا، ج 4 ،ص 26.

([179]) رسائل اخوان الصفا، ج4، ص 76.

([180]) انظر: البغدادي : الفرق بين الفرق، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة، ص 281 و 296.

كما ذكر البغدادي أيضا قول القيرواني في رسالته إلى سليمان بن الحسن:".... وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير، فإن ذلك عون لك على القول بقدم العلم. انظر : ذات المرجع، ص 296.

والنبوة[181] وهو ما يتنافى مع الثابت من حديثه صلى الله عليه وسلم أنه خير بين أن يكون ملكا رسولا أو أن يكون عبدا رسولا فاختار العبودية لله عن المُلك.[182]

وتفسير ذلك كله – في رأينا– أن الاخوان يمهدون بهذه الأفكار لإقناع أتباعهم بالخروج على سلطان الحكومة القائمة التي يدلل عليها اصطلاح (دولة أهل الشر) المتمثلة حسب المفهوم من رسائلهم في دولة بني العباس، سواء كان حكمهم –أي بني العباس– يعتمد على المُلك والقهر والغلبة، أم على النظرية الدينية أي الإمامة والخلافة للنبي صلى الله عليه وسلم.

ولتحقيق الخروج على سلطان الحكومة العباسية والعودة لحالة الفطرة التي يدعيها اخوان الصفا يجب العودة للفطرة التي اعتبروا أنها الحياة القبلية، ففي ظل القبيلة يُكون الأفراد أسرة واحدة، ويتصورون أن جميعهم متصلون بصلاة القرابة والرحم[183]، وهو ما ظهر في اسم جماعتهم :"اخوان الصفا وخلان الوفا" إذ اختاروا أن يظهروا ويكونوا كالإخوة. فيكون أعضاء هذه الجماعة مجتمعا متحد بصلاة هي أشبه بصلاة القرابة والنسب التي تقوم عليها القبيلة. وقد علق البعض على هذا النهج لدي اخوان الصفا بأنهم يفكرون في المستقبل بعقلية الماضي[184] كما يفسر تصورهم لكيفية نشأة المدينة الفاضلة لديهم، إذ أن قيام مجتمعهم الفاضل يتطلب العودة لحالة القبلية التي كانت سائدة قبل الإسلام في جزيرة العرب.

([181]) ثم اعلم أن لله تعالى لما أضاف إلى نبوته الملك لم يُضِفْها لرغبته في الدنيا وحرصه عليها، ولكن أراد لله تعالى أن يجمع لأمَّته الدين والدنيا جميعًا، وكان القصد الأول هو الدين، والمُلْك عارض لأسباب شتَّى :أحدها أنه لو كان المُلْك في غير أمته لم يكن يؤمن أن يردَّهم عن دينهم أو يسومهم سوء العذاب مَنْ كان مسلَّطًا عليهم مثل ما كان يفعل فرعون ببني إسرائيل. وخصلة أخرى. الأخرى ما قال أزدشير : "إن المُلْك والدين أخَوان توأمان " والخصلة هي أن الناس في طباعهم وجبلَّتهم لا يرغبون إلا في دين الملوك ولا يرهبون إلا منهم، وبهذه الخصال — وخصال أخرى يطول شرحها - جمع لله المُلْك والنبوة لنبيه محمد، عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان، ولما أشكلت هذه المسألة على اليهود والنصارى ارتدُّوا وشكُّوا في نبوته لما رأوا أن المُلْك والنبوة لمحمد عليه السلام .فلما أنزل لله عز وجل قصة داود وسليمان ليحاجَّ بها اليهود والنصارى؛ إذ كانوا مقرّين بنبوتهما، وقد جمع لله لهما من المُلْك والنبوة ولم يكن المُلْك قادحًا في نبوتهما، فهكذا كان حكم محمد عليه السلام، فإن المُلْك لم يكن قادحًا في نبوته. واعلم يا أخي أن لله تعالى قد جمع لمحمد عليه السلام، المُلْك والنبوة وأيَّده بروح منه، حتى إنه قام بواجب حقهما لما خصَّه الله به من الجبلَّة القوية والقوة المتينة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وقلَّ مَنْ يكون كذلك؛ لأن النبوة تتمُّ بنيف وأربعين خصلة من فضائل البشرية، والمُلْك يحتاج إلى شرائط أخُرى غيرها. رسائل اخوان الصفا، ج4، ص 76.

([182]) أنظر، (البيهقي) أبو بكر أحمد بن الحسين : مختصر كتاب دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، الجزء الأول ، اختصار وتقديم : مصطفى موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى 2013، ص 52. والحافظ بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ في كتابه : أخلاق النبي وآدابه ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية ، 1986 ، ص 170.

([183]) ذات المعنى عند د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، ص 359.

([184]) د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، ص 358.

ولا يتوقف إخوان الصفا عند حد الدعوة للعودة إلى حالة الفطرة أو حياة القبيلة كما زعموا، بل إنهم تطرقوا كذلك لما يجب أن تسعى إليه الجماعة من جديد بعد عودتها لحياة الفطرة المذكورة، إذ يجب على الجماعة أن تسعى لتحقيق نوع من الاجتماع الكامل.

والاجتماع الكامل عند إخوان الصفا ليس نوعا واحدا بل ثلاث، هي: المدينة، الأمة، الدولة العالمية، نتناولها تباعا فيما يلي:

أولا : المدينة:

يرى إخوان الصفا أن المدينة هي أصغر وحدة اجتماعية كاملة، ويشبهون المدينة في تركيبها ببنية الجسد وتركيب أجزائه وتأليف أعضائه.[185] ولا شك أن اخوان الصفا تأثروا بفلاسفة اليونان خاصة أفلاطون وأرسطو الذين رأوا أن المدينة تمثل وحدة اجتماعية متكاملة، إلا أن فلاسفة اليونان لم لم يصل فكرهم لإمكان وجود مجتمع كامل أكبر من المدينة. [186]

ثانيا: الأمة :

تأثر اخوان الصفا بالفكر الإسلامي الذي يهدف إلى اخضاع العالم الإسلامي أو الأمة الإسلامية كلها لحكومة واحدة هي حكومة الخليفة أو الإمام ومن ثم اخضاع العالم كله لهذه الحكومة، وذلك أمر تميز اخوان الصفا به عن فلاسفة اليونان.[187] ومن ثم تحدث اخوان الصفا عن نوعين من الاجتماعات

([185]) ورد في الرسائل: "ثم اعلم أن هذا الجسد لهذه النفس الساكنة فيه يشبه مدينة عامرة بأهلها مأنوسة بسكانها وحالات الجسد تشبه حالات المدينة، وتصرُّف النفس يشبه تصرُّفات أهل المدينة فيها. وذلك أن لهذا الجسد أعضاء ومفاصل تشبه المحالَّ في المدينة، وفي تلك الأعضاء والمفاصل أوعية ومجارٍ تشبه المنازل في المحال، وفي تلك الأوعية والمجاري حُجُب وأغشية تُشبِه البيوت في منازل الأسواق في المحال والدكاكين في الأسواق. بيان ذلك أن الأعضاء والمفاصل تشبه المحال في المدينة، فالرأس وما حوى والصدر وما وَعَى والبطن وما ملى والرجلان والبدن. وأما الأوعية والمجاري التي تشبه المنازل في المحال فالدماغ والقلب والرئة والطحال والمرارة والمعدة والمصارين والأمعاء والكليتان والعروق، وأما الحجب والأغشية التي تشبه البيوت في المنازل والدكاكين في الأسواق، فالتجويفات التي في الدماغ والرئة والتي في القلب والتي في العظام وغير ذلك." انظر، رسائل اخوان الصفا: ج 2، ص 274.

([186]) د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، 359.

([187]) د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، 360.

الكاملة أكبر من اجتماع المدينة – هما الأمة والدولة العالمية– الذي كان فلاسفة اليونان قد سبقوهم إلي القول به.

والأمة : عند اخوان الصفا هي وحدة اجتماعية تختص بصفات وطبائع وأخلاق وسجايا وموقع جغرافي ووحدة تاريخية ووحدة عبادات وتقاليد بحيث تميزها عن الأمم الأخرى. [188]

ثالثا: الدولة العالمية:

كما تصور اخوان الصفا وجود إجتماع أكبر من اجتماع المدينة والأمة يمكن تحققه في شكل دولة عالمية يشملها دين واحد وشريعة واحدة. فيقول إخوان الصفا: "فأما جملة العالم بأسره، الحي الناطق المشتمل عليه الصورة الإنسانية ، فهذا أيضا إذا شمله دين واحد وعبادة واحدة كمثل جسم واحد، وإنسان واحد .[189] وقالوا أيضا: "أن عالم الانسان بجملته إذا شمله دين واحد وشريعة واحدة، كان كإنسان واحد".[190]، [191]

([188]) فيقولون : "إذا تأملت لكل أمة من الناس ألحانًا ونغمات يستلذونها ويفرحون بها، لا يستلذها غيرهم ولا يفرح بها سواهم، مثل غناء الديلم والأتراك والأعراب والأرمن والزنج والفرس والروم وغيرهم من الأمم المختلفة الألسُن والطباع والأخلاق والعادات. وهكذا أيضًا أنك تجدُ في الأمة الواحدة من هذه أقوامًا يستلذون ألحانًا ونغمات وتفرح نفوسُهُم بها، ولا يسر بها مَنْ سواهم، وهكذا أيضًا ربما تجد إنسانًا واحدًا يستلذُّ وقتًا ما لحنًا ويسره، ووقتًا آخرَ لا يستلذه بل ربما يكرهه ويتألم منه، وهكذا تجد حكمهم في مأكولاتهم ومشروباتهم وفي مشموماتهم وملبوساتهم وسائر الملاذ والزينة والمحاسن، كل ذلك بحسب تغيرات أمزجة الأخلاط واختلاف الطبائع وتركيب الأبدان والأماكن والأزمان." انظر : رسائل اخوان الصفا ، ج1 ، ص 170.
وراجع د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، ص 322.

([189]) انظر: الرسالة الجامعة ، تحقيق جميل صليبا، دمشق 1948، ج2 ، ص 116.

([190]) المرجع السابق، ص 119.

([191]) ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الفارابي قد انتهج نهج إخوان الصفا حينما تكلم عن الاجتماعات الانسانية، وكانت أفكاره أكثر وضوحا وأيسر موردا، فقسم المجتمعات الانسانية إلى مجتمعات كاملة، وأخرى غير كاملة. وقصد بالمجتمع الكامل: المجتمع الذي يتحقق فيه التعاون الاجتماعي بوجه كامل، أما المجتمع غير الكامل: فهو المجتمع الذي لا يستطيع أن يكفي نفسه بنفسه، أو المجتمع الذي لا يتحقق فيه التعاون بصورة كاملة.
وقسم الفارابي المجتمعات الكاملة إلى ثلاث، هي: المجتمعات العظمى، المجتمعات الوسطى، والمجتمعات الصغرى.

- فالمجتمع الأعظم : هو الأكثر كمالا، ويعني انتظام العامل كله في مجتمع واحد تحت سلطة حكومة واحد ورئيس واحد.
- والمجتمع الأوسط: يلي المجتمع الأعظم في مرتبة الكمال، ويعني اجتماع أمة في جزء من العالم بحكومة مستقلة.
- والمجتمع الأصغر: هو أدنى المجتمعات الكاملة درجة وهو الاجتماع الذي يقل عن المدينة مثل القرية والمحلة والسكة والمنازل.

ويقرر الفارابي أن الخير الأعظم والكمال الأقصى إنما ينال أولا بالمدينة لا بالاجتماع الذي هو أنقص منها. راجع : الفارابي : أراء أهل المدينة الفاضلة ، ص 96 وما بعدها. د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، ص 360 – 361.

الغرض من الاجتماعات الفاصلة عند اخوان الصفا:

نظرا لأن مشروع اخوان الصفا كان يرنو في الأساس لتأسيس دولة أخل الخير التي عدوها نموذجا لمدينهم الفاضلة ، ومن ثم فإن اجتماعهم فيها يكون هو الاجتماع الفاضل ، فتحدثوا عن نوع من الاجتماع السياسي المميز يؤدي إلى صالح البلاد والعباد[192]، فيرى إخوان الصفا أن الاجتماع الفاضل بين البشر يؤدي في النهاية إلى إصلاح البلاد، لأن الاجتماع يؤدي إلى حدوث الصداقة، والصداقة هي أساس المحبة بين الناس، والأخوة هي أساس المحبة بينهم، والمحبة تؤدي إلى صلاح الأمور التي في صلاحها صلاح البلاد، وصلاح البلاد يؤدي إلى حفظ العالم وبقاء النسل.[193]

وتحدث اخوان الصفا عن الأسباب التي تمنع من الاجتماع الفاضل، فقالوا: " وينبغي أن تعلم أيها الأخ، أن المانع من ذلك هو أسباب موجودة نحتاج أن نقلع عن تلك الأسباب حسب لا غير، وهي أربعة أجناس :أحدها سوء أعمالهم، والثاني فساد آرائهم، والثالث رداءة أخلاقهم، والرابع تراكم جهالاتهم"[194]
ومن ثم فقد حدد اخوان الصفا هذه الأسباب في أربعة، هي:

1) سوء معاملة الناس.
2) فساد آرائهم.
3) رداءة أخلاقهم.
4) تراكم جهالاتهم.

وينتهي اخوان الصفا إلى أن الاجتماع الفاضل أساسه التعاون وأن السبب في استمرار هذا الاجتماع الفاضل خو المحبة بين أعضاءه. فيقول الاخوان: "واعلم أيها الأخ البارُّ الرحيم، أيَّدك الله وإيانا بروح منه، أنه ليس من جماعة يجتمعون على تعاون في أمر من أمور الدنيا والآخرة أشد نصيحة بعضهم لبعض من تعاون إخوان الصفاء، وينبغي أن تعلم أن العلة التي تجمع بين إخوان الصفاء هي أن يرى ويعلم كل واحد منهم أنه لا يتم له ما يريد من صلاح معيشة الدنيا ونيل الفوز والنجاة في الآخرة إلا

([192]) د/ محمد الناصر صديقي: التنظير السياسي في أدبيات إخوان الصفا ، مرجع سابق، ص 148
([193]) راجع ، رسائل اخزان الصفا، ج 2 ، ص 328. انظر: د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، ص 362. د/ محمد الناصر صديقي: التنظير السياسي في أدبيات إخوان الصفا ، مرجع سابق، ص 148.
([194]) الرسائل، ج4 ، ص 236.

بمعاونة كل واحد منهم لصاحبه، وأما السبب الذي يحفظهم على تلك الحال فهو المحبة والرحمة والشفقة والرفق من كل واحد منهم، والمساواة فيما يريد ويحب ويبغض ويكره لنفسه.[195]

طبقات البشر عند اخوان الصفا:

يرى اخوان الصفا أن الناس مختلفون من يوم الولادة، فبعضهم من أبناء الملوك والرؤساء، وبعضهم من أولاد التجار والدهاقين ، وبعضهم من أولاد الفقراء والمساكين،[196] وقد ظهر ذلك في قولهم: ".. ولكن يكون بعضُهُم من أولاد الملوك والرؤساء، وبعضُهُم من أولاد التجار والدهاقين وأرباب النعم، وبعضهم من أولاد الفقراء والمساكين والمكدين فلا يكون قبولهم لسعادة الفلك على سنن واحد، بل كُلُّ واحد منهم بحسب مرتبته، وذلك أن أولاد المكدين إذا حسنتْ أحوالهم من السعادة فهو أن يبلغوا مرتبة أولاد التجار وأرباب النعم وأوساط الناس، وإذا أحسن أولاد التجار، فهو أن يبلغوا مرتبة أولاد الملوك، وأولاد الملوك إذا قبلوا سعادة الفلك ارتقوا وبلغوا سرير الملك والسلطان، وإن نحسوا قصر بهم عن ذلك، وكذلك كُلُّ واحدٍ من أولئك الذين تقدم ذِكْرُهُم ينحط من درجة إلى ما دونها في المرتبة"[197]

وطبقات الناس التي ذكرها اخوان الصفا كثيرة أجملوها في تسع هي[198]:

1) أهل الدين والشرائع والنبوات وأصحاب الناموس ومن دونهم من الموسومين بحفظ أحكامها ومراعاة سننها والمعروفين بالتعبد فيها. **(الذين وضعوا الدين والشرائع).**

2) أهل العلم والحكماء والأدباء وأصحاب الرياضات الموسومين بالتعليم والتأديب والرياضات والمعارف**(الذين يعلمون الشرائع)**

3) الملوك والسلاطين والأمراء والرؤساء وأرباب السياسات والمتعلقين بخدمتهم من الجنود والأعوان والكتاب والعمال والخزان والولاة وما شاكلهم. (الذين ينفذون الأحكام ويحملون الناس على التقيد بالشرائع)

([195]) رسائل اخوان الصفا ، ج4 ، ص 235.
([196]) انظر: عمر فروخ: اخوان الصفا ، المرجع السابق، ص 115.
([197]) الرسائل : ح1، ص 133.
([198]) انظر: عمر فروخ: اخوان الصفا، مرجع سابق، ص 115 – 116.

4) أرباب البنايات والعمارات والأملاك.

5) البناءون والزراع والأكرة(الفلاحون) والرعاة وساسة الدواب.

6) الصناع وأصحاب الحرف والمصلحون للأمتعة والحوائج

7) التجار والباعة والمسافرون والحلابون للأمتعة والحوائج من الآفاق.

8) المتعيشون الذين يعيشون في خدمة غيرهم وقضاء حوائجهم يوما بيون.

9) الضعفاء والشحاذون ومن شاكلهم من الفقراء والمساكين.

ويلاحظ على ذلك التقسيم :

1) أن اخوان الصفا جعلوا: 1- الذين يضعون الدين والشرائع، 2- والذين يعلمون الشرائع، 3- والذين ينفذون الأحكام يحملون الناس على التقيد بالشرائع، وهي الثلاث طبقات الأولى على رأس الطبقات الاجتماعية، رغم أنها تظهر للقارئ أنها مهام وسلطات للحكم، وأنهم جعلوا الطبقتين الأوليين (1- الذين يضعون الدين والشرائع، 2- والذين يعلمون بالشرائع) أرقى من الطبقة الثالثة (الذين ينفذون الأحكام يحملون الناس على التقيد بالشرائع) وذلك لتدعيم أسس مدينتهم الروحية.

2) وجعلوا باقي طبقات المجتمع تأتي بعد ذلك على اعتبار أن هؤلاء هم الذين يحب أن يتقيدوا بالشرائع ويخضعوا للطبقات الثلاثة الأولى(واضعي الشرائع، ومعلمي الشرائع ومنفذي أحكام الشرائع)[199].

3) قسم اخوان الصفا قسموا طبقات المجتمع بحسب وسائل معيشتهم، ثم جعلوا أخلاقهم وعاداتهم تختلف بحسب ذلك.[200]

([199]) راجع : د/ عمر فروخ: اخوان الصفا، مرجع سابق، ص 116.
([200]) د/ عمر فروخ: اخوان الصفا، مرجع سابق، ص 116.

4) أن هذه الطبقات الاجتماعية التي ذكرها اخوان الصفا ليست هي ذات الطبقات التي توجد داخل مدينتهم الفاضلة، وبالتالي كان هذا التقسيم رصدا لفئات أو طبقات المجتمع، استفاد منه اخوان الصفا في تدعيم مجتمع المدينة الفاضلة الذي يأتي الحديث عنه فيما بعد.

المبحث الربع

المدينة الفاضلة عند اخوان الصفا

نتناول في هذا المبحث المدينة الفاضلة عند اخوان الصفا، وذلك بتناول أهمية فكرة الاجتماع الفاضل عندهم، ثم نتطرق لنظام المراتب أو الدرجات الذي وضعه اخوان الصفا لأعضاء جماعتهم، كما نتناول الطبقات الاجتماعي التي حددها إخوان الصفا لمجتمع المدينة الفاضلة، ثم نتناول الأسس التي تقوم عليها المدينة الفاضلة في نظر الإخوان، ونتناول أيضا رئيس أو حاكم المدينة صفاته وواجباته، كما نتعرض لواجبات أعضاء مجتمع المدينة الفاضلة، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول : تأسيس الاجتماع الفاضل.

المطلب الثاني : نظام مراتب التنظيم وطبقات مجتمع المدينة الفاضلة.

المطلب الثالث : الأسس التي تقوم عليها المدينة الفاضلة .

المطلب الرابع: حاكم المدينة الفاضلة .

المطلب الخامس: واجبات أعضاء المدينة الفاضلة.

المطلب الأول

تأسيس الاجتماع الفاضل

تحدث إخوان الصفا عن مدينتهم الفاضلة فقالوا أنها "مدينة فاضلة روحانية"[201] وجعلوها غاية لصلاح حياة الانسان. فالإنسان مكون من جسد مادي، وجوهر لطيف آخر وهو الروح أو النفس.[202] والجسد للنفس بمثابة المسكن أو الدار، ومادامت هذه الرابطة بينهما فيجب البحث عن أسباب صلاح حياة

([201]) الرسائل، ج4، ص 236

([202]) "واعلم أيها الأخ البارُّ الرحيم، أيَّدك الله وإيانا بروح منه، أن كل واحد منا هو مركَّب ومؤلَّف من جوهرين متباينين متضادين :أحدهما هو هذا الجسد الغليظ المحسوس المؤلَّف من اللحم والدم والعظم والجلد والعصب والعروق وما يشاكل ذلك، وهذه كلها أجسام أرضية ميتة مظلمة فاسدة، وأما الجوهر الآخر فهو هذا الروح اللطيف؛ أعني النفس؛ فهو جوهرة سمائية روحانية نورانية علامة دراكة صور الأشياء." الرسائل، ج4 ، ص234.

الانسان، ونجاته في الآخرة.[203] وهو ما لا يتم إلا بالمعاونة فبها تصير قوى الأجساد المتفرقة قوة واحدة، وتتفق تدابير النفوس المؤتلفة وتصير تدبيرًا واحدًا حتى تكون كلها كأنها جسد واحد ونفس واحدة[204].

ويؤكد اخوان الصفا على أهمية التعاون بين البشر بصفة عامة، وجاء ذلك في قولهم: "اعلم يا أخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، بأن الإنسان الواحد لا يقدر أن يعيش وحده إلا عيشًا نكدًا؛ لأنه محتاج إلى طيب العيش من إحكام صنائع شتى ولا يمكن الإنسان الواحد أن يبلغها كلها؛ لأن العمر قصير والصنائع كثيرة، فمن أجل هذا اجتمع في كل مدينة أو قرية أناس كثيرون لمعاونة بعضهم بعضًا، وقد أوجبت الحكمة الإلهية والعناية الربانية بأن يشتغل جماعة منهم بإحكام الصنائع وجماعة في التجارات وجماعة بإحكام البنيان وجماعة بتدبير السياسات وجماعة بإحكام العلوم وتعليمها وجماعة بالخدمة للجميع والسعي في حوائجهم؛ لأن مثلهم في ذلك كمثل إخوة من أب واحد في منزل واحد متعاونين في أمر معيشتهم كل منهم في وجه منها، فأما ما اصطلحوا عليه من الكيل والوزن والثمن والأجرة فإن ذلك حكمة وسياسة ليكون حثًّا لهم على الاجتهاد في أعمالهم وصنائعهم ومعاوناتهم حتى يستحق كل إنسان من الأجرة بحسب اجتهاده في العمل ونشاطه في الصنائع."[205]

"ينبغي لك أن تتيقن بأنك لا تقد أن تنجو وحدك مما وقعت فيه من محنة هذه الدنيا وآفاتها... لأنك محتاج في نجاتك وتخلصك... إلى معاونة إخوان لك نصحاء وأصدقاء لك فضلاء متبصرين بأمر الدين علماء بحقائق الأمُور ليعرفوك طرائق الآخرة وكيفية الوصول إليها والنجاة من الورطة التي وقعنا فيها كلنا بجناية أبينا آدم عليه السلام فاعتبر بحديث الحمامة المطوقة المذكورة في كتاب «كليلة ودمنة » وكيف نجت من الشبكة لتعلم حقيقة ما قلنا."[206]

ولكي ينتمي الشخص للمدينة الفاضلة يحب عليه أن يبدأ بالتعلم وينفض عن نفسه الجهل والآراء الفاسدة التي تسود في المدن الجائرة، فذلك شرط الدخول في هذه المدينة لأنه : "لا يمكن لأحد أن يدخل

([203]) "واعلم أن هذا الجسد لهذه النفس في المثال بمنزلة دار تُسْكَن أو دابة تُرْكَب أو آلة تُسْتَعمل، وما دامت هذه النفس مع هذا الجسد مربوطة به إلى الوقت المعلوم فلا بد لنا من النظر فيما تصلح به معيشة الحياة الدنيا وما تُنال به النجاة والفوز في الآخرة." الرسائل،ج4، ص 234.

([204]) الرسائل، ج4 ، ص 235.

([205]) الرسائل ، ج1 ، ص 96.

([206]) الرسائل ، ج1 ، ص 97.

مدينتنا هذه متى لم يكن علمه مساويًا لعلمنا؛ لأن حولها أربعة أسوار مبنية من جهالات الناس، ما بين كل سورين خندق من سوء أعمالهم وفساد آرائهم ورداءة أخلاقهم، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدَّم، فمَنْ عزم على دخولها فعليه بعلم النفس ومعرفة جوهرها فإنه أولى بأن يستفتح من مدينتنا".[207] وبعد تحقق هذا الاجتماع يتجه الاخوان لبناء مدينتهم الفاضلة الروحانية.[208] والحديث عن نظمها. **ويلاحظ** أن اخوان الصفا قد أشاروا إلى أن مدينتهم الفاضلة "**روحانية**" وهو ما يشير–حسبما ذهب البعض– إلى أن فكرة المدينة الفاضلة تقوم على أساس التنظيم السري لإخوان الصفا، ولأن بدء بناء هذه المدينة الفاضلة سيتم في طور الستر باعتبارهم جماعة تمارس النشاط السياسي السري. فالمدينة الفاضلة لدي اخوان الصفا مفهوم يتمثل في اتخاذ الإجراءات العملية لتحقيق أهدافهم السياسية في بناء دولتهم التي أطلقوا عليها "دولة أهل الخير" التي تتحقق فيها سعادة الأفراد، ولا يكون ذلك إلا بتعاون أهل المدينة الفاضلة – أي: كل أفراد التنظيم السري لإخوان الصفا، ولا يكون ذلك إلا ذلك إلا بتعاون أهل المدينة الفاضلة (أو أعضاء التنظيم) على كل الأمور المؤدية للسعادة وأن يختص كل فرد من الأهالي بعمله الذي يتقنه، والتخصص في الصنعة المهيأ لها بطبعه.[209]

كما يلاحظ أن فكرة التعاون التي أسس عليها اخوان الصفا مدينتهم الفاضلة هي فكرة حسنة رائعة، وهي نتيجة لتقسيمهم الواسع للطبقات، وهم يؤكدون في مواضع كثيرة من رسائلهم أهمية التعاون بين الناس ولا سيما أولئك الذين لهم أهداف وغايات واحدة .[210]

([207]) الرسائل ، ج4 ، ص 237 .

([208]) "وينبغي لنا، أيها الأخ، بعد اجتماعنا على الشرائط التي تقدمت من صفوة الإخوان أن نتعاون ونجمع قوة أجسادنا ونجعلها قوة واحدة، ونرتِّب تدبير نفوسنا تدبيرًا واحدًا، ونبني مدينة فاضلة روحانية، ويكون بناء هذه المدينة في مملكة صاحب الناموس الأكبر الذي يملك النفوس والأجساد؛ لأن مَنْ ملك النفوس ملك الأجساد، ومَنْ لم يملك النفوس لم يملك الأجساد". الرسائل، ج4 ، ص 236.

([209]) انظر: د/ محمد فريد حجاب: المرجع السابق، ص 263. د/ محمد الناصر صديقي: المرجع السابق، ص 149.

([210]) د/ فؤاد البعلي : المرجع السابق، ص 70.

المطلب الثاني

نظام مراتب التنظيم

وطبقات مجتمع المدينة الفاضلة

تحدث اخوان الصفا عن مراتب أعضاء مجتمع المدينة الفاضلة، وكذا مراتب ودرجات تنظيمهم السري لجمعيتهم، بصورة يصعب الفصل بين كل منهما، ولوجود رابطة قوية بينهما، ورغم أن كل منهما – وكما سيتضح لنا من استعراضهما– خاص بمرحلة معينة من مراحل الدعوة لتأسيس دولة أخوان الصفا، والتي هي في حقيقتها الغرض السياسي من تأسيس جماعتهم الفلسفية. ويرجع سبب ذلك الخلط الذي وقع فيه بعض الباحثين إلى ما استلزمه اخوان الصفا في رسائلهم من شروط حتى يتثنى للشخص الانتماء إليهم والدخول في جماعتهم السرية التي هي وسيلتهم لإقامة مدينتهم الفاضلة.[211]

وقد رجح بعض الباحثين أن الهدف من وضع نظام لمراتب ودرجات أعضاء التنظيم السري لإخوان الصفا هو التمهيد لتأسيس مجتمع فاضل، لا يؤسسه إخوان الصفا بأنفسهم (أي: مؤسسو التنظيم وكاتبو الرسائل) بل يعدون الأجيال من جل إقامته على المدى البعيد.[212]

ونعرض فيما يلي لمراتب اخوان الصفا داخل التنظيم السري، ثم نتناول طبقات مجتمع المدينة الفاضلة ، وهدفنا من ذلك هو الوقوف على حقيقة رؤية اخوان الصفا لمجتمع المدينة الفاضلة لديهم.

([211]) حيث ورد في الرسائل: " واعلم أيها الأخ، علمًا يقينًا أن هذه المدينة مفروغ من بنائها على هذا الوصف، لا يمكن أحد أن يدخل مدينتنا هذه متى لم يكن علمه مساويًا لعلمنا؛ لأن حولها أربعة أسوار مبنية من جهالات الناس، ما بين كل سورين خندق من سوء أعمالهم وفساد آرائهم ورداءة أخلاقهم، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدَّم، فمَنْ عزم على دخولها فعليه بعلم النفس ومعرفة جوهرها فإنه أولى بأن يستفتح من مدينتنا وقد بيَّنَّا كل ما يحتاج إخواننا، أيَّدهم الله، إليه من هذا العلم في إحدى وخمسين رسالة، فانظر فيها، أيها الأخ، إن لم يكن يستوي لك الحضور في مجلسنا، واعرضها على إخوانك الذين ترتضيهم وتأنس منهم الرشد والسداد، فلعلكم توفَّقون لفهم معاني ما ذكرنا فيها من معاني فنون العلم وغرائب الحكم، وترشدون إلى العمل بما يقرّبكم إلى الله زلفى وينجيكم من نار جهنم عالم الكون والفساد، وتهتدون للصعود إلى ملكوت السماء عالم الأفلاك، والدخول في زمرة الملائكة الذين يَحمِلون العرش...." أنظر، الرسائل ، ج4 ، ص 237 .- 238 .

([212]) د/ محمود إسماعيل عبدالرازق: إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، مرجع سابق، ص 104.

1- مراتب الإخوان:

كان طبيعيا أن ينقسم اخوان الصفا إلى درجات بحسب مكانهم من الدعوة، وتتدرج هذه المراتب ترتيبا تصاعديا وفقا لعمر العضو ومبلغ تمكنه من العلوم والمعارف وسمو الروح.[213]

وقد قسم اخوان الصفا أعضاء التنظيم إلى أربع مراتب نتناولها فيما يلي تباعا:

المرتبة الأولى: وهي مرتبة الإخوة الأبرار الرحماء: وتضم الشباب ممن تتراوح أعمارهم بين خامسة عشرة سنة إلى ثلاثين سنة والذين يتصفون بصفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور، وهم الذين يدعون في الرسائل بالإخوة الأبرار الرحماء، ويظهر أن الرسائل قد ألفت لهؤلاء لأن الخطاب فيها موجه دائما إلى الأخ الرخيم البار. [214] وحدد اخوان الصفا هذه المرتبة في الرسائل بقولهم: "اعلم أيها الأخ البارُّ الرحيم، أن قوة نفوس إخواننا في هذا الأمر الذي نشير إليه ونحث عليه على أربع مراتب: أولها صفاء جواهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور وهي مرتبة أرباب ذوي الصنائع في مدينتنا التي ذكرناها في الرسالة الثانية، وهي القوة العاقلة المميِّزة لمعاني المحسوسات الواردة على القوة الناطقة بعد خمس عشرة سنة من مولد الجسد، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿وَ إِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾ وهم الذين نسميهم في رسائلنا: إخواننا الأبرار الرحماء". [215]

المرتبة الثانية : وهي مرتبة الإخوة الأخيار الفضلاء: وتضم الرجال بين الثلاثين والأربعين سنة ، وهؤلاء يتلقون الحكمة وتولون مراعاة الإخوان الأبرار الرحماء، بتعهدهم والعطف عليهم ومساعدتهم، وهم الذين يسمون في الرسائل بالإخوة الأخيار الفضلاء.[216] وحدد اخوان الصفا هذه المرتبة في الرسائل بقولهم: "وفوق هذه المرتبة مرتبة الرؤساء ذوي السياسات، وهي مراعاة الإخوان وسخاء النفس وإعطاء الفيض والشفقة والرحمة والتحنُّن على الإخوان، وهي القوة الحكمية الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين

([213]) د/ جبور عبدالنور: إخوان الصفا، دار المعارف ببيروت، ص 66.
([214]) انظر، د/ عمر الدسوقي: المرجع السابق، ص 75.
([215]) الرسائل، ج 4، ص 148 – 149.
([216]) د/ عمر الدسوقي : المرجع السابق، ص 75.

سنة من مولد الجسد، وإليه أشار جل ذكره بقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وهم الذين نسميهم في رسائلنا إخواننا الأخيار والفضلاء". [217]

المرتبة الثالثة: وهي مرتبة الإخوة الفضلاء الكرام: وتضم أفراد بين الأربعين والخمسين من العمر، وهم يعرفون الناموس الإلهي معرفة مطابقة لدرجاتهم ، كما أنهم أصحاب الأمر والنهي ، ونصر الدعوة، والقيام بدفع المعاندين، ومن يظهر الخلاف لفكرتهم ودعوتهم بالرفق واللطف والمداراة ، وهم ال1ين يسمون في الرسائل بالإخوان الفضلاء الكرام، وهم الذين ألفوا الرسائل.[218] وحدد اخوان الصفا هذه المرتبة في الرسائل بقولهم: "والرتبة الثالثة فوق هذه وهي مرتبة الملوك ذوي السلطان والأمر والنهي والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الأمر بالرفق واللطف والمداراة في إصلاحه، وهي القوة الناموسية الواردة بعد مولد الجسد بأربعين سنة، وإليها أشار بقوله :﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ وهم الذين نسميهم إخواننا الفضلاء الكرام". [219]

المرتبة الرابعة: وهي مرتبة الإخوة الروحانيين: وهي مرتبة من يزيد على الخمسين من العمر، وهي أعلى المراتب في نظرهم، ومن يصل إليها يكون فوق الطبيعة والناموس، ويكون ذا كشف يستطيع منه أن يشاهد أحوال البعث والنشور والميزان. [220] وحدد اخوان الصفا هذه المرتبة في الرسائل بقولهم: "والرابعة فوق هذه وهي التي ندعو إليها إخواننا كلهم في أي مرتبة كانوا، وهي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عيانًا، وهي القوة الملكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد، وهي الممهِّدة للمعاد والمفارقة للهيولى وعليها تنزل قوة المعراج، وبها تصعد إلى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة من البعث والنشر والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران، ومجاورة الرحمن ذي الجلال والإكرام [221]

([217]) الرسائل، ج 4، ص 149.
([218]) د/ عمر الدسوقي : المرجع السابق، ص 75.
([219]) الرسائل، ج 4، ص 149.
([220]) د/ عمر الدسوقي: المرجع السابق، ص 76.
([221]) الرسائل، ج 4، ص 149.

2- طبقات مجتمع المدينة الفاضلة:

تحدث اخوان الصفا عن الطبقات التي يتكون منها مجتمع المدينة الفاضلة، وحددوها بأربع طبقات، تعتمد – كما سيتضح لنا من استعراضها – على تقسيمهم لمراتب الأعضاء داخل التنظيم السري لهم. والهدف الرئيس من تقسم اخوان الصفا لمجتمع المدينة الفاضلة هو تنظيم التعاون بين سكان المدينة بما يحقق الغاية من الاجتماع الفاضل.

وقد قسم اخوان الصفا مجتمع مدينتهم الفاضلة إلى أربع طبقات رئيسية، وهي من الأدنى للأعلى كالتالي:

1) أرباب الصنائع والعمال.

2) ذوو الرئاسات (ذوو السياسات) ومهمتهم مساعدة اخوان الصفا ومراعاتهم.

3) الملوك ذوو الأمر والنهي، ومهمتهم إزالة الخلاف إذا حصل، واتباع الرفق واللطف مع المخالفين للمحافظة عليهم .

4) الإلهيون (ذوو المشيئة الإرادة)

فقالوا : "وينبغي أن يكون تعاون أهل المدينة مرتَّبًا أربع مراتب : إحداها مرتبة أرباب الأركان الأربعة ذوي الصنائع، والثاني مرتبة ذوي الرياسات، والثالثة مرتبة الملوك ذوي الأمر والنهي، والرابعة مرتبة الإلهيين ذوي المشيئة والإرادة." [222]

وتخضع كل فئة أو طبقة من هذه الطبقات للطبقة الأعلى منها، كما أن التعاون بين هذه الطبقات لازم لاستمرار المدينة الفاضلة، ولهذا جعل اخوان الصفا السياسة التي تتبع داخل المدية الفاضلة مغايرة لتلك التي تتبع مع غيرها من المدن الجائرة، ويقوم تعاون أهل المدينة الفاضلة مع بعضهم على تدبير كل طائفة لشئونها مع مراعاة الطبقة الأعلى للأدنى، وطاعة الأدنى للأعلى، وهكذا ينتظم عقد المجتمع في المدينة بصورة تضمن استقرارها. ولكي يتحقق ذلك: "ينبغي أن يكون تدبير ذوي الصنائع يجري في

([222]) الرسائل ج 4 ، ص 237

المرءوسين كسريان الضوء في الهواء وكسريان القوة النامية في الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض، ويكون سريان سياسة ذوي الرياسات يسري في أرباب ذوي الصنائع كسريان الألوان في الضياء، أو كسريان القوة الحيوانية في القوة النامية، ويكون نفاذ أمر الملوك ذوي السلطان يسري في الرؤساء ذوي السياسة كسريان القوة الباصرة في إدراك الألوان، وكسريان القوة الناطقة في القوة الحيوانية، ويكون سريان مشيئة الإلهيين ذوي الإرادة يسري في الملوك ذوي السلطان كسريان العقل في المعقولات، أو كسريان القوة الملكية في القوة الناطقة. فإذا انتظم أمر المدينة على هذه الشرائط فهي السيرة الكريمة الحسنة التي يتعامل بها أهل المدينة فيما بينهم".[223]

ويلاحظ تطابق عدد المراتب أو الدراجات التي قسم اخوان الصفا أعضاء جماعتهم لها مع عدد طبقات مجتمع المدينة الفاضلة لديهم بصورة تؤكد أن التنظيم السري هو بداية تأسيس هذه المدينة المزعومة. وهو ما أوقع بعض الباحثين في خطأ الخلط بين مراتب اعضاء التنظيم وبين طبقات المدينة الفاضلة، والفارق الجوهري بين مراتب الأعضاء داخل التنظيم، وبين طبقات مجتمع المدينة الفاضلة، هو أن اخوان الصفا رتبوا الأعضاء داخل التنظيم على أساس السن، أما مجتمع المدينة الفاضلة فيقسم على أساس المهنة والمهمة التي يضطلع بها أفراد الطبقة. وجاء ذلك بصورة تدعو للتفاني في خدمة تنظيمهم السري، حيث كان الجد والاخلاص والتفاني في خدمة نظام الجماعة يكفل للشخص الترقي في درجاتها كلما وصل للسن المحددة لعضوية مرتبة معينة من مراتبها أو درجة من درجاتها، حتى تمكن إخوان الصفا من إقامة مدينتهم الفاضلة، انتمى الفرد للطبقة الاجتماعية التي تتناسب مع ما وصل إليه من درجة أو مرتبة داخل التنظيم السري، وكان ذلك سببا في تفاني أعضاء التنظيم والاخلاص له، أملا في وضع مميز داخل المدينة الفاضلة التي أقنع اخوان الصفا أعضاءه بالسعي نحو تأسيسها.

([223]) الرسائل ج 4 ص236 -237

المطلب الثالث

أسس المدينة الفاضلة

وضع اخوان الصاف عدة شروط تضمن استمرار المدينة الفاضلة وتميزها عن غيرها من المدن المضادة لها التي أطلق عليها الاخوان اسم :"المدن الجائرة" أو "دولة أهل الشر" ، وتتمثل هذه الشروط في الآتي:-

1- **أن يكون أهل المدينة أخيار فضلاء مستبصرون بأمور النفس والجسد.** فقد اشترطوا أن يكون علم من يريد الدخول في عضوية مدينتهم الفاضلة مساويا لعلمهم فقالوا: : "لا يمكن لأحد أن يدخل مدينتنا هذه متى لم يكن علمه مساويًا لعلمنا؛ ...، فمَنْ عزم على دخولها فعليه بعلم النفس ومعرفة جوهرها فإنه أولى بأن يستفتح من مدينتنا". [224]

وهذا ما يضمن أن يكون أهل هذه المدينة قومًا أخيارًا حكماء فضلاء مستبصرين بأمور النفوس وحالاتها وما يتبع ذلك من أمور الأجساد وحالاتها"[225] حسبما وصفتهم رسائل اخوان الصفا.

ويظهر لنا أن الهدف من هذا الشرط هو التأهيل الفكري والعقائدي لأفراد الجماعة عن طريق بث الأفكار والمعتقدات التي يقوم عليها التنظيم السري لإخوان الصفا في عقول الأفراد الذين يرغبون في الانتماء إليها، وذلك حتى يسهل قيادتهم نحو تحقيق الغاية السياسية للتنظيم.

2- **وأن يكون لأهل المدينة الفاضلة اسلوب يتعاملون به فيما بينهم واسلوب آخر يتعاملون به مع غيرهم من أهل المدن الجائرة.** حيث قالوا: "وينبغي أن يكون لأهل المدينة سيرة جميلة كريمة حسنة يتعاملون بها فيما بينهم، وأن يكون لهم سيرة أخرى يعاملون بها أهل المدن الجائرة". [226]

وخلاصة رأي اخوان الصفا في هذا الصدد هو أن تكون لمدينتهم الفاضلة سياسات نفسانية في دور الستر (وهي السياسات التي تتبع داخل تنظيمهم السري) وتختلف كلية عن السياسات

([224]) الرسائل ، ج4 ، ص 237 .
([225]) الرسائل ج 4 ص236
([226]) ذات الإشارة السابقة.

الجسمانية التي تتم في المدن الجائرة أو المدن القائمة فعلا والتي يتحكم حكامها ورؤسائها في الأجساد.[227]

وهذا الشرط في حقيقته يستهدف التبرير لطابع السرية، كما يساهم في ضمان حفظ وصيانة أسرار التنظيم، فإذا كانت المدينة روحانية، فإن سيطرة ملوك وحكام المدن الجائرة على الأجساد هو إلى ميعاد، كما أنه لا يضر اخوان الصفا إذ أن تنظيمهم/ مدينتهم تجمع أرواحهم ونفوسهم.

3- **أن تكون مدينة اخوان الصفا مدينة عالية ومرتفعة بحيث لا تنالها الأبصار ولكي تكون مشرفة على سائر المدن والأمصار في كل الأوقات.** حيث قالوا: "ولا ينبغي أن يكون بناء هذه المدينة في الأرض حيث تكون أخلاق أهل سائر المدن الجائرة، ولا ينبغي أيضًا أن يكون بناؤها على وجه الماء؛ لأنه يصيبها من الأمواج والاضطراب ما يصيب أهل المدن التي على السواحل من البحار، ولا ينبغي أن يكون بناء هذه المدينة في الهواء مرتفعًا؛ لكيلا يصعد إليها دخان المدن الجائرة فتكدر أهويتها، وينبغي أن تكون مشرفة على سائر المدن؛ ليكون أهلها يشاهدون حالات أهل سائر المدن في دائم الأوقات". [228]

ولأن مشروع اخوان الصفا في اقامة مدينة فاضلة هو مشروع مثالي فإنه يجب ألا يخضع لمتطلبات الجسد، بمعنى أن النفس يجب أن تسيطر على الجسد وتلجمه[229]، ولذلك عملوا على تخليص مدينتهم الفاضلة من مطالب الجسد الفاني، فنفوا عن مدينتهم العناصر الأربعة :التراب والماء والهواء والنار. وهو ما اتضح من اشتراطهم ألا يكون بناء هذه المدينة على الأرض (أي: التراب) ولا على وجه الماء ، ولا في الهواء، حتى لا يصعد إليها دخان المدن الجائرة (أي: النار).

فقد اعتبر إخوان الصفا أن العناصر الأربعة للكون (النار والهواء والماء والتراب) تبدو متنافرة ومتضادة الطبائع، ولا يمكن أن تجتمع وتتآلف إلا على نسبة متوازنة ومتناسقة، واستنتجوا أن هذه القاعدة الكونية العامة ستتجلى في مختلف مجالات الوجود.[230] فنفي العناصر الأربعة التي

([227]) د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، ص 364.
([228]) الرسائل ج 4 ص236 -237
([229]) د/ فؤاد معصوم : المرجع السابق، ص 321.
([230]) انظر: الناصر الهمامي: المنطق والرياضيات عند إخوان الصفا، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، عدد 32 ، جولية 2017، ص 86. رابط : http://search.mandumah.com/Record/828980

ذكرها الاخوان يضمن لمدينتهم أن تكون مدينة روحانية لا تخضع لمتطلبات الجسد، ويجعلها مدينة روحانية مثالية؛ وبالتالي تستحق أن يضحي أعضاء التنظيم من أجلها.

كما أن الاسلوب الذي صاغ به اخوان الصفا هذا الشرط من أنها مدينة فاضلة روحية، يكون بناؤها في السماء وتشرف على باقي المدن الأخرى، هو اسلوب القصد منه تحبيب الناس إلى المساء والآخرة، أو بالأحرى إلى الدين، وإظهار حكم العباسيين بمظهر الملحد البعيد عن الدين ، وأن اخوان الصفا من يريد انقاذ الدين[231] ، ولهذا جعلوا غاية فلسفتهم هي تطهير الشريعة.

4- **وأن تؤسس على تقوى الله لكي لا ينهار بناؤها، وأن تقوم أركانها وتشيد على الصدق والصفاء والوفاء والأمانة، لكي تدوم وتحقق الغاية القصوى التي وهي الخلود في النعيم**. فقد ورد في الرسائل ذلك الشرط حيث قالوا :"وينبغي أن يكون أساس هذه المدينة على تقوى الله؛ كيلا ينهار بناؤها، وأن يُشيَّد بناؤها على الصدق في الأقاويل والتصديق في الضمائر، وتتم أركانها على الوفاء والأمانة؛ كيما يدوم ويكون كمالها على الغرض في الغاية القصوى التي هي الخلود في النعيم."[232]

وقد علق البعض على هذا الشرط بأن قصد اخوان الصفا منه هو تنبيه العامة وجميع الناس إلى مساوئ الحكم في ذلك الوقت ، وأنه لا يقوم على هذا الأساس الذي يريدونه لمدينتهم الفاضلة.[233]

5- **أن تكون مدينة اخوان الصفا الفاضلة مدينة روحانية خالصة لكي لا يصيبها ما يصيب الأجساد وأهل المدن الجائرة من تقلبات وأكدار، وحتى تكون مأوى للأرواح** ؛ فقالوا "فإذا فرغنا من بنائها بنينا المركب الذي هو سفينة النجاة حتى تكون السفينة مستقلة بثقل الأجساد، وتكون المدينة مأوى الأرواح" [234]

([231]) انظر: د/ فؤاد البعلي ، فلسفة اخوان الصفا الاجتماعية والاخلاقية، ص 93.
([232]) الرسائل ج 4 ص236 -237
([233]) انظر، د/ فؤاد البعلي: فلسفة اخوان الصفا الاجتماعية والأخلاقية، مطبعة المعارف بغداد، 1958، ص 92.
([234]) ذات الإشارة السابقة.

المطلب الرابع

حاكم المدينة الفاضلة

يعد رئيس المدينة الفاضلة هو عقدة نظامها لدى كل من حاول وضع نموذج للمدينة الفاضلة منذ أفلاطون وحتى الآن. هذه العقدة التي عبر عنها الكُتَّاب بعقدة سقراط التي ظهرت لدى أفلاطون، حتى قال البعض أن شخصية سقراط في كتاب الجمهورية لأفلاطون تمثل نموذج الشخصية النمطية للفيلسوف الحاكم الذي جاهد أفلاطون من أجل تنصيبه حاكما في الواقع العملي.[235]

وبنى الفارابي كل آماله على رئيس المدينة الفاضلة، وعلق عليه كل الأهمية، كما علق شيخ أثينا أهمية كبيرة على رئيس الجمهورية، فاشترط شروطا كثيرة تشبه تمام الشبه الشروط التي قال بها أفلاطون، بل هي مأخوذة عنها نصا، وعقد لها في كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة فصلا مستقلا عنوانه "في خصال رئيس المدينة الفاضلة".[236]

ولما كان غرض إخوان الصفا وغايتهم التي أعلنوها في رسائلهم هي تطهير الشريعة بالفلسفة، والتوفيق بين الديانات المتعارضة التي لا يمكن فهمها إلا من خلال مزجها بالفلسفة.[237] ولهذا لا نجد لديهم فروق جوهرية بين الفيلسوف والنبي فتساوت لديهم أقوال الفلاسفة والأنبياء، وقالوا ذلك صراحة في رسائلهم[238]، وجاء تقسيمهم للسياسة متأثر بتلك الغاية أيضا، حيث قسموها – كما سبق وعرضنا– لسياسة نبوية وأخرى ملوكية، وثالثة عامية، ورابعة خاصية، وختموها بالسياسة الذتية.[239]وجعلوا السياسة النبوية أرقاها وأعلاها مرتبة وتتمثل في معرفة حفظ الشريعة على الأمة وإحياء السنة في الملة بالأمر

([235]) د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 19.

([236]) د/ إبراهيم مدكور : في فلسفة السياسة الإسلامية منهج وتطبيق، الكتاب الأول، دراسة وتقديم: منى أحمد أبو زيد، دار الكتاب المصري 2015، ص 96.

([237]) د/الناصر الهمامي: المنطق والرياضيات عند إخوان الصفا، مركز جيل البحث العلمي، العدد 33 جولية 2017، ص 90.

Albert Nader: " Courants d'idèes en Islam du sixième au vingtième siècle" . Paris : Médiaspaul, 2003, p: 93-94 د. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ،ص38. الأستاذ : إبراهيم الزيني : المرجع السابق، ص 182 . د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 111.

([238]) د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 111.

فقالوا: "ينبغي لإخواننا، أيَّدهم الله تعالى، ألَّا يعادوا علمًا من العلوم أو يهجروا كتابًا من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب؛ لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها". الرسائل، ج4، ص 137.

([239]) راجع ما كتبناه في هذا البحث تحت عنوان : أنواع السياسات عند إخوان الصفا في المطلب الأول من المبحث الثالث.

بالمعروف والنهي عن المنكر بإقامة الحدود وإنفاذ الأحكام التي رسمها صاحب الشريعة، ورد الظالم وقمع الأعداء، وكف الأشرار، ونصرة الأخيار، وهذه السياسة يختص بها الأنبياء والأئمة . [240]

فرئيس المدينة الفاضلة عند اخوان الصفا هو الإمام الذي يوصف أيضا بأنه واضع الشريعة، وهو بذلك يقابل الفيلسوف لدى أفلاطون، هو نفس اللقب الذي خلعه كل من الفرابي وابن سينا على رئيس المدينة بالإضافة إلى ألقاب أخرى ، كالرئيس الأول، أو المتوحد كما هو الأمر عند ابن باجة.[241]

ولا يقول اخوان الصفا صراحة بلقب الفيلسوف الحاكم رغم أنهم يساوون بين أقوال الفلاسفة وأقوال الأنبياء، ويرون أن الفلسفة هي التي تزيل التناقض الواقع في الأديان نتيجة اختلاطها بالضلالات والأباطيل، وذلك لأن الواقع المحيط في البيئة الإسلامية في ذلك الحين لا يقبل بغير الألقاب العربية الإسلامية. كما أن حرصهم على اضفاء لقب الإمام على رئيس المدينة الفاضلة لديهم يعكس ميولهم الشيعية، والتي تأكدت بادعائهم أنهم هم الأئمة من آل البيت[242]، وهو ما يظهر من قولهم في الرسائل: " واعلم يا أخي بأن في الناس طائفة من أهل ملتنا مقرُّون بفضلنا وفضل أهل بيتنا، ولكنهم جاهلون بعلومنا غافلون عن أسرارنا وحكمتنا، فمن ذلك أنهم يجحدون وجودنا ويُنكرون بقاءنا، ومع هذا فإنهم يُزرون بشيعتنا المُقِرّين بوجودنا المنتظرين ظهور أمرنا، ومعاندون لهم متعصبون عليهم مبغضون لهم." [243]

ويشير ذلك إلى استغلال هذه الجماعة للتشيع في نشر أهدافهم ومذهبهم بين جمهور عريض من المسلمين[244]، خاصة وأن السمة الرئيسية للأحزاب السياسية في تلك الفترة ظهورها في صورة فرق دينية، وقد علل الأستاذ "دي بور" هذا الأمر بقوله أن ذلك هو ما كان يضمن وجود أنصار لهذه الأحزاب.[245] ولهذا كان للأفكار الدينية شأنها في فكر وفلسفة إخوان الصفا السياسية.

([240]) رسائل اخوان الصفا، ج1، ص 228. د/ أحمد عرفات القاضي: المرجع السابق، ص 113.
([241]) د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 113.
([242]) المرجع السابق، ص 114.
([243]) الرسائل ، ج4، ص 218.
([244]) د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 115.
([245]) أنظر، دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام، مرجع سابق، ص 131.

ولهذا نجد تدرج في حديث اخوان الصفا عن حاكم المدينة الفاضلة، هذا التدرج يعتمد أساسا على مستوى من يوجه إليه الخطاب ، فإذا كان الخطاب موجه لعامة الناس أطلق اخوان الصفا عليه اسم "واضع الشريعة" ، وإذا كان الخطاب موجه الخواص من أرباب العقول أطلقوا عليه "الفيلسوف"، فلا يوجد فارق عند اخوان الصفا بين الفيلسوف وواضع الشريعة(كان نبيا أو إماما) لأن كل منهما يقصد تحقيق هدف واحد هو سعادة البشرية، ويؤمن بالميعاد الروحاني.[246]

وميز اخوان الصفا في بعض المواضع بين واضع الشريعة والفيلسوف، فواضع الشريعة يتلقى الوحي ، وينسب كل ما يضعه من سنن وقوانين للوحي، بخلاف الفيلسوف الذي ينسب ما ينتهي إليه من آراء وسياسة إلى اجتهاده. فقالوا: "واعلم أن من إحدى الخصال التي يضعها صاحب الشريعة ألَّا ينسب إلى رأيه واجتهاده وقوته شيئًا مما يقول ويفعل ويأمر وينهى في وضع الشريعة، لكنه ينسبها إلى الواسطة التي بينه وبين ربه من الملائكة التي توحي إليه في أوقات غير معلومة، وأما الحكماء والفلاسفة إذا استخرجوا علمًا من العلوم وألَّفوا كتابًا، أو استخرجوا صنعةً من الصنائع أو بنوا هيكلًا أو دبَّروا سياسة نسبوا ذلك إلى قوة أنفسهم واجتهادهم وجودة رأيهم وفحصهم وبحثهم، وهذا خلاف ما يفعله واضع الشريعة. (247)

وغرضهم من ذلك هو إضفاء نوع من القداسة على حاكم المدينة واضع الشريعة، وحرمان غيره من الفلاسفة داخل المدينة من معارضته.

ولتأكيد ذلك قالوا أن الرسول أو النبي هو صاحب الزمان والإمام للناس فترة حياته، "فإذا بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة ودوَّن التنزيل ولوَّح التأويل وأحكم الشريعة وأوضح المنهاج وأقام السنة وألَّف شمل الأمة، ثم تُوُفيّ ومضى إلى سبيله؛ بقيت تلك الخصال في أمته وراثةً منه"[248] ويخلفه في قيادة الأمة من تتوافر فيه الخصال التي عدها اخوان الصفا واستلزموها في حاكم المدينة الفاضلة، أما إذا لم تجتمع تلك الخصال في واحد وكانت متفرقة في جماعة –كجماعة اخوان الصفا– اجتمعت تلك الجماعة على رأي واحد، وائتلفت قلوبهم على محبة بعضهم بعضًا، وتعاضدت على نصرة الدين وحفظ الشريعة

([246]) د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 122.
([247]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 208 – 209.
([248]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 200 .

وإقامة السنة وحمل الأمة على منهاج الدين، دامت لهم الدولة في دنياهم، ووجبت العقبى لهم في أخراهم، وإن تفرقت تلك الأمة بعد وفاة نبيها واختلفت في منهاج الدين تشتَّت شمل أُلفتهم، وفسد عليهم أمر آخرتهم وزالت عنهم دولتهم".[249]

ولما كانت تلك الخصال لا تجتمع في فرد واحد، فقد حل اخوان الصفا أنفسهم محل الإمام في قيادة الأمة لإقامة الدين والدنيا، وصرحوا بأنهم يستطيعون قيادة الأمة في غيبة واضع الشريعة والإمام، ولهذا وجهوا خطابهم في الرسائل للمستجدين في جماعتهم "فإن كنت عازمًا على طلب إصلاح الدين والدنيا فهلمَّ بنا نجتمع مع جماعة إخوان فضلاء، ونقتدي بسنة الشريعة في صدق المعاملة ومحض النصيحة وصفوة الأخوة".[250] وذلك لأن دعوتهم هي دعوة الأنبياء والفلاسفة الفضلاء ، "واعلم أن هذا الأمر الذي قد ندبنا إليه إخواننا وحثثنا عليه أصدقاءنا ليس هو برأي مستحدَث ولا مذهب مُحْدَث، بل هو رأي قديم قد سبق إليه الحكماء والفلاسفة والفضلاء، وهو طريقٌ سلكه الأنبياء عليهم السلام ومذهبٌ مضى عليه خلفاء الأنبياء والأئمة المهديون، وبه كان يحكم النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحْفِظوا من كتاب الله، وهي ملَّة أبينا إبراهيم وبه سمانا المسلمين من قبلُ."[251]

ولما كان اخوان الصفا يقومون مقام الإمام واضع الشريعة حاكم المدينة الفاضلة، وهم جماعة كان يجب عليهم أن يكون لهم رئيس، فاختاروا العقل – رمزا للفيلسوف – ليكون رئيسا عليهم والحكم فيما بينهم.[252] فقالوا صراحة : "ونحن قد رضينا بالرئيس على جماعة إخواننا والحَكَم بيننا العقل الذي جعله الله تعالى رئيسًا على الفضلاء من خلقه الذين هم تحت الأمر والنهي، ورضينا بموجبات قضاياه على الشرائط التي ذكرناها في رسائلنا وأوصينا بها إخواننا".[253] "واعلم أن العقلاء الأخيار إذا انضاف إلى عقولهم القوة بواضع الشريعة فليس يحتاجون إلى رئيس يرأسهم ويأمرهم وينهاهم ويزجرهم ويحكم عليهم؛

([249]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 200 .
([250]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 200 .
([251]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 201 .
([252]) د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 124.
([253]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 202 .

لأن العقل والقدرة لواضع الناموس يقومان مقام الرئيس الإمام، فهلم بنا أيها الأخ أن نقتدي بسنة الشريعة ونجعلها إمامًا لنا فيما عزمنا عليه، والله يوفقك إنه جواد كريم."[254]

ومن يعترض على حكم ذلك الرئيس فإنه يخرج من جماعتهم ومن مدينتهم الفاضلة، ومقاطعته تماما "فمَنْ لم يرضَ بشرائط العقل وموجبات قضاياه ولم يقبل تلك الشرائط التي أوصينا بها إخواننا أو خرج عنها بعد الدخول فيها فعقوبته في ذلك أن نخرج من صداقته ونتبرأ من ولايته ولا نستعين به في أمورنا ولا نعاشره في معاملتنا ولا نكلِّمه في علومنا، ونطوي دونه أسرارنا، ونوصي بمجانبته إخواننا". [255]

صفات حاكم المدينة الفاضلة:

يجب أن يتميز حاكم المدينة الفاضلة عند اخوان الصفا بعدة صفات، عدها اخوان الصفا في اثنى عشرة خصلة هي[256]:

1- أن يكون تام الأعضاء قوي البنية. 2- جيد الفهم. 3- جيد الحفظ. 4- فطنا زكيا. 5- يجيد التعبير عن نفسه. 6- محبا للعلم. 7- صادقا حسن السمعة. 8- عفيفا مترفعا عن الملذات والشهوات. 9- عالي الهمة مترفع عن الصغائر. 10- زاهد في الدنيا والدرهم. 11- محبا للعدل . 12- قوي العزيمة.

ولكي يستطيع الإمام أو واضع الشريعة تدبير شئون المدينة يجب عليه أن يلتزم ببعض القواعد العقائدية، وقد ذكر اخوان الصفا عشر قواعد بجب على حاكم المدينة الفاضلة الالتزام بها، وهذه القواعد

([254]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 209..
([255]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 202 .
([256]) راجع ، رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 203 ، 204.

هي[257]: 1- الإيمان بالله . [258] 2- الإيمان بالملائكة .[259] 3- الإيمان بالنفس.[260] 4- الإيمان ببعث النفس لا الجسد. [261] 5- الإيمان بأن النفس تحاسب على عملها إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشر.[262] 6- الإيمان بأن الله تعالى جعل في الناس القدرة على اتيان الأعمال، فمنهم طائع لأمره ومنهم راكب نهيه. [263] 7- أن الله يجازي المحسن بالثواب على طاعته، ويعاقب المسيء على أخطائه.[264] 8- الإيمان بالبعث والميعاد. [265] 9- التقرب إلى الله بالدعاء. [266] 10- اتباع الدعاة إلى الله.[267]

([257]) راجع ، رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205. وراجع عرضها لدى د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 115.

([258]) واعلم أن أول قاعدة يضعها واضع الشريعة ثم يبني عليها سائر ما يعمل في تتميم الشريعة من القول والعمل، وتكميلها من الأقاويل والأوامر والنواهي ومعاني تأويلها ومفروضات شرائعه وسنن أحكامه وتدبير أمته، وسياسة أهل مملكته في أمر الدين والدنيا؛ هي أن يرى ويعتقد في نفسه علمًا يقينيًا أن للعالم بارئًا قديمًا حيًا عالمًا حكيمًا قادرًا قاهرًا مريدًا هو علة جميع الموجودات ومالكها ومصرفها بحسب ما يليق بواحد واحد منها. رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205.

([259]) أن يرى ويتصور موجودات عقلية مجردة من الهيولى كل واحد منها قائم بنفسه متوجه نحو ما نُصِب له من أمره، وهم ملائكة لله تعالى وخالص عباده، بهم تقع المراسلة والوحي والإنباء، ومن جهتهم يحصل التأييد. رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205.

([260]) أن يرى ويعتقد وجودات نفسانية مجردة من الأبدان تارةً، ومستعملة لها تارةً، ومتعلقة بها تارةً، وأنها نازلة من جثث الحيوانات بحسب ما يليق بواحد واحد منها من إدراك مأربها وتمكنها به. رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205.

([261]) أن يرى أن بمفارقتها الجثث لا تبطل ذاتها، وخروجها من الأجساد والحس لا يُخْرِجها من قدرة الباري سبحانه. رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205.

([262]) أن يرى أن كل واحدة من الموجودات منفردة بذاتها لا يُصلحها ولا يُفسدها إلا ما يتعلق بها من سوء أعمالها أو فساد آرائها أو رداءة أخلاقها أو تراكم جهالاتها. رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205.

([263]) أن يرى أن الباري تعالى إذا أمر الناس أمرًا مكَّنهم منه وأزاح عللهم فيه، فمنهم طائع لأمره ومنهم راكب نهيه. رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205.

([264]) أن جعل لكل صنف من أصناف الطاعات والمعاصي جزاءً من الثواب والعقاب، ويُعْلِم المأمورين والمنهيين عنه أنه إذا ما أتوه على بصيرة أوجب الأجر وقطع العذر ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾. رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205.

([265]) أن يرى أن لهم معادًا فيه مجازَون بما أسلفوا من خير وشر وعُرْفٍ ونُكْرٍ، وأنه قد جعل إلى كل واحد تمهيد مثواه وإصلاح مأواه، فإن أحسن فلنفسه وإن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد. رسائل اخوان الصفا، ج4، ص 204- 205.

([266]) أن يرى أن الدعاء إلى لله تعالى أولى الأعمال بالثواب وأرفعها درجة عند المآب. رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205.

([267]) أن يرى أن الدعاة إلى لله تعالى هم أعلى الناس درجةً وأرفعهم منزلةً وأشدهم في الدعاء إلى لله تعالى حرصًا، وأكثرهم فيه دربًا، وأوسعهم علمًا وأكثرهم أمةً وأعظمهم على الناس نعمةً، وأنطقهم بالصدق وألزمهم لمنهاج الحق. رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 204- 205.

واجبات رئيس المدينة:

تحدث اخوان الصفا في رسائلهم عن الواجبات التي يتعين على الإمام واضع الشريعة القيام بها داخل مدينتهم الفاضلة.

وأول هذه الواجبات أن يقوم بتصنيف أهل المدينة إلى طبقات كل حسب صفته وأخلاقه، وهو ما يستلزم أن يكون الحاكم على دراية بحقيقة كل فرد حتى يضعه في مكانه الملائم.[268] فقالوا : "واعلم أن من أحد خصال واضع الشريعة ومراعاته لأهل دعوته أن يتعرَّف خبر كل واحد من أهل دعوته من الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحر والعبد، والشريف والدنيء، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، حتى يعرف كل واحد منهم ما اسمه ونسبه وصناعته وعمله وتصرفه في حالاته، وما هو بسبيله في أمر معاشه، وما هو الغالب عليه من الطبع الجيد والرديء والخلق الحسن أو السيئ والعادات العادلة أو الجائرة حتى يثق بهم علمًا، ويتبيَّن منازلهم، ويستعين بكل واحد منهم في العمل المُشاكل له، ويستخدمه في الأمر اللائق به" [269]

كما يجب على الحاكم العمل على تأليف قلوب أعضاء المدينة، ومطالبتهم بموالاة بعضهم بعضا حتى يجتمع شملهم وتتفق كلمتهم.

كما يجب عليه أن يأمرهم باجتناب مخالفيهم في اتباع سنة الشريعة والبراءة منهم ولو كانوا ذوي قربى أو كانوا من الأحباب. [270] "واعلم أن أول سُنَّة يستنُّها لهم ويطالبهم بإقامتها هي الأمور التي أولها موالاة بعضهم بعضًا بسبب حرمة الشريعة؛ لتأكيد المودَّة بينهم وتأليف قلوبهم؛ ليجتمع بذلك شملهم وتتفق كلمتهم، ويأمرهم بمخالفة مَنْ يخالفهم في سنة الشريعة ومجانبتهم والبراءة منهم وإن كانوا ذوي القرابة والأحباء".[271]

كما يتعين على الحاكم أن يسن السنن (يضع القوانين) وينظم شئون المدينة، ويقيم العدل بين أهلها، ويضبط علاقاتهم ومعاملاتهم. فيقولون : "واعلم أن من إحدى خصال واضع الشريعة أن يسنَّ لأهل

([268]) د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 118.
([269]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 206.
([270]) د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 118.
([271]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 206.

دعوته أولًا سنة حسنة يقيمونها بشرائطها، وسيرة عادلة يتعاملون بموجبها فيما بينهم، ويكون في استعمالهم صلاح الجمهور والنفع العام، ولا يبالي أن يكون عليه أو على بعضهم من استعمالها لها مشقة أو ضرر؛ لأن غرض واضع الشريعة ليس إصلاح أمر نفسه ولا إصلاح أنصاره وأتباعه الموجودين في الوقت الحاضر في زمانه أو النفع العاجل له ولهم، بل غرضه إصلاحهم وإصلاح مَنْ يجيء بعدهم من التابعين ومَنْ يجيء بعد أولئك إلى يوم القيامة" .[272]

وعلى الحاكم أن ينسب كل ما يصدر عنه من سنن وأوامر (قوانين وقرارات) إلى الوحي الذي يهبط عليه بواسطة الملائكة . وهو ما قالوه صراحة "واعلم أن من إحدى الخصال التي يضعها صاحب الشريعة ألَّا ينسب إلى رأيه واجتهاده وقوته شيئًا مما يقول ويفعل ويأمر وينهى في وضع الشريعة، لكنه ينسبها إلى الواسطة التي بينه وبين ربه من الملائكة التي توحي إليه في أوقات غير معلومة." [273]

واتباع تعليمات وأوامر واضع الشريعة يجعل من مجتمع المدينة كرجل واحد ونفس واحدة ، يقودهم واضع الشريعة الذي يصبح بمنزلة الرأس من الجسد، ويكون أهل المدينة كسائر الأعضاء في ذلك الجسد، فيتحقق لهم النصر على مخالفيهم، وأعدائهم. "فإذا قاموا بواجب هذه السنة وتثبَّتوا عليها واستحكمت تلك في نفوسهم وتعاضدوا على ذلك وتناصروا عليه؛ صار كلهم عند ذلك كرجل واحد وجسد واحد ونفس واحدة، وصار واضع الشريعة لهم بمنزلة الرأس من الجسد وهم له كسائر الأعضاء، وتصير قوة نفس واضع الشريعة متصرفة في نفوسهم كتصرف القوة المفكرة في سائر القوى الحساسة، فيصدرون عند ذلك عن رأي واحد وقصد واحد وغرض واحد بقوة واحدة، فيغلبون كل مَن رام غلبتهم، ويقهرون كل مَنْ خالفهم وعاداهم وضادَّهم." [274]

([272]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 208.
([273]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 208.
([274]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 206.

المطلب الخامس

واجبات أعضاء المدينة الفاضلة

تحدث اخوان الصفا عن الواجبات التي يتعين على أعضاء جماعتهم وتنظيمهم السري – في مرحلة السعي لتأسيس المدينة الفاضلة أو دولة أهل الخير كما أطلقوا عليها– الالتزام بها، وهي ذات الالتزامات التي يجب على أهل المدينة الفاضلة الالتزام لها.

فيتعين على أعضاء جماعة اخوان الصفا سواء في مرحلة التنظيم السري، أو بعد إقامة المدينة الفاضلة الالتزام ببعض الواجبات التي ذكرها اخوان الصفا في الرسائل، وأهم ما يتعين على عضو الجماعة/ المدينة القيام به هو : بذل المال والنفس والأهل في إقامة الشريعة وتقويتها وإظهارها، مع الإيمان بأن ذلك من أعظم ما يتقرب به إلى الله، وذلك من أجل إقامة المدينة واستقرارها. والاقتداء بواضع الشريعة وإن كل نفس من أنصاره وأتباعه أنفق ماله أو فارق أحباءه أو بذل دمه وجعل جسده قربانًا في نصرة الشريعة، فإن تلك النفس بعد مفارقة جسدها تبقى مجردة من الهيولى، وتعلو رتبتها على سائر النفوس التي هي أبناء جنسها، وترتفع درجتها وتشرف هي على النفوس المتجسدة المستعملة لتلك الشريعة، فتصير موقوفة عليها شاهدة أحوالها، وتكون الشريعة لها مدينة روحانية، ويكون تصرفها وتحكمها في النفوس المستعملة لتلك الشريعة كتصرف رؤساء أهل المدينة في أملاكهم وغلمانهم وأتباعهم".[275] ويجب أن يكون لكل فرد منهم عقلا يميز به بين الخير والشر. كما يجب على الأعضاء السير على وصية واضع الشريعة التي أعطاها لكل واحد منهم لدراستها في أوقات معلومة، حتى يعلموا ظاهر الشريعة وباطنها ففي استعمال الظاهر صلاح لأمر الدينا، وفي معرفة الباطن صلاح أمر الميعاد والآخرة. [276]

ويجب أن تنضوي كل مجموعة تحت قيادة رئيس فاضل عارف بالشريعة. وهو ما جاء في الرسائل في قولهم: "واعلم أن تمام الدين والدنيا لتابعي الشريعة في أربع خصال :أحدها أن يكون لكل واحد منهم عقل يعرف به القبيح وينزجر عنه ويعرف الجميل ويأمر به، والثاني أن يكون لهم بواضع الشريعة قدوة في أفعاله وأقاويله وآدابه ومتصرفاته، والثالث أن يكون مع كل واحد منهم وصية من واضع الشريعة

([275]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 207.

([276]) راجع : د/ أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف، مرجع سابق، ص 126.

يدرسونها في أوقات معلومة، والرابع أن يكون على كل جماعة منهم رئيس من فضلائهم عارف بسنة الشريعة يأمرهم بإقامتها ويحثهم على حفظها وبنهاهم ويزجرهم متى أرادوا تغيير سيرة الشريعة."[277]

المبحث الخامس

التوفيق بين الدين والفلسفة عند اخوان الصفا

إن قضية النزاع بين الدين والفلسفة قديمة، وكان هذا النزاع يشتد ويقوى أحيانا، ويخبوا ويهدأ أحيانا أخرى، وكانت دين هو الغالب دائما، واستطاع أن يحرم الاشتغال بالفلسفة لفترات. وتمكن أن يجعل منها خادمته لفترات أخرى. ولم تكن الفلسفة قوية بحيث تقف في وجه الدين محاولة إزاحته مدعية أنها بديلته. فقد كان كل ما لديها أن تداري وتجاري. وتقترب من الدين، لعلها تجد لنفسها في ظله تربة. تزرع فيها بذورها. ولكن، هل يوجد هناك حق نزاع بين الدين والفلسفة؟ وهل الدين غاية تختلف عن غاية الفلسفة؟ وطريقته تختلف عن طريقتها، ومصدر غير مصدرها، وميدان غير ميدانها؟ أو أن النزاع الموجود بينهما ظاهرا إنما هو في الحقيقة بين الأشخاص الذين اشتغلوا بالفلسفة وبين رجال الدين.؟[278]

المطلب الأول

نظرة اخوان الصفا للعلاقة بين الدين والفلسفة

عرَّف إخوان الصفا الدين لغة بأنه الطاعة من جماعة لرئيس واحد. والطاعة الحقيقية عندهم لها عنصران، عنصر التصديق والاقتناع القلبي بضرورة هذه الطاعة، والعنصر الثاني هو ترجمة هذا التصديق إلى ممارسة عملية. كما عرفوا الإيمان. وهو العنصر الأول، لغة ، بأنه التصديق للمخبر فيما قال وأخبر عنه. وأما اصطلاحا، فهو أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر. وبالنسبة للعنصر الثاني، فلما كانت الطاعة لا تتبين إلا بالأوامر والنواهي. والأمر والنهي لا يعرفان إلا بالأحكام والحدود والشرائط في المعلومات، سميت كلها شريعة أو الدين، و سنن أحكامه. وبناء على ذلك، فالدين

([277]) رسائل اخوان الصفا، ج4 ، ص 209.

([278]) هذه الأسئلة، قدم بها الأستاذ الدكتور فؤاد معصوم للباب الثاني من كتابه عن إخوان الصفاء، والذي جاء بعنوان إخوان الصفاء بين الدين والفلسفة. وقد ذكر في ذات التقديم أن إخوان الصفا يجيبوا عن هذا السؤال، ولنا هنا أن نبحث عن إجابتهم لهذا السؤال؟

له جانبان ، جانب اعتقادي، وجانب عملي، وهو الشريعة. وعندما يقارن الإخوان بين الدين والفلسفة، فهما يقصدون بالدين، جانبه النظري الاعتقاد، أو الجانب الإيماني.[279]

ويرى إخوان الصفا أنه ليس بين الدين والفلسفة تعارض، فهما، وإن كان يختلفان مجالا، وأداة، إلا أن لكل منهما شخصيته وكيانه. ومع ذلك، فهما يتفقان في الغاية. فالدين والفلسفة لهما غايتان ، إحداهما أولية، والثانية نهائية، إذا أن غرض الأنبياء عليهم السلام في وضعهم الناموس والشرائع، وغرض الحكماء في وضع السياسات ليس هو إصلاح أمور الدنيا فحسب، بل غرضهم جميعا في ذلك إصلاح الدين والدنيا جميعا، فأما غرضهم الأقصى فهو نجاة النفوس من محن الدنيا وشقاوة أهلها، وإيصالها إلى سعادة الآخرة ونعيم أهلها. وبعبارة أخرى، الدين والفلسفة يتفقان هدفا ويختلفان وسيلة أو يتفقان في الغرض، وهو الأصل، ويختلفان في الفروع. [280]

فيرى إخوان الصفا أن الهدف من الشريعة هو نفس الهدف من الفلسفة.[281] فقد تختلف الألفاظ الفلسفية عن الألفاظ الشرعية، ولكن المضمون يظل واحدا، فمثلا يستخدم الإخوان لفظ الحلال في الشريعة

([279]) وعرفوا العلم بأنه صورة معلومة في نفس العالم. أو تصور لنفس الرسوم المعلومات. إذن، فهناك فرق بين الإيمان والعلم، حيث لكل منهما أداته، فما يقرب الدين ويعتقد هو القلب واللسان. وما يخوض به الإنسان مجال العلم. هو طرق المعرفة الكسبية. ويستشهد إخوان الصفاء لرأيهم هذا بآيات من القرآن الكريم. خاصة. الآية رقم 56 من سورة الروم. د/ فؤاد معصوم، إخوان الصفا، فلسفتهم وغايتهم، ص 125 -126.

([280]) فقد ورد في الرسائل... ثم أعلم. أن العلوم الحكمية والشريعة النبوية كلاهما أمران إلهيا فصلا، يتفقان في الغرض المقصود منه ما الذي هو الأصل فصل ويختلفان في الفروع، وذلك أن الغرض الأقصى من الفلسفة هو ما قيل. إنه التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية، كما بيننا في رسائلنا أجمع. وعمدتها أربع خصال. أولها معرفة حقائق الموجودات، والثانية اعتقاد الآراء الصحيحة، والثالثة التخلق بالأخلاق الجميلة، والسجايا الحميدة، والرابعة الأعمال الذكية، والأفعال الحسنة، والغرض الأقصى من هذه الخصال هو تغريم نفس، والترقي منح النقص إلى التمام. ، والخروج من حد القوة إلى الفعل بالضوء، لتنال بذلك البقاء، والدوام، والخلود في النعم مع أبناء جنسها من الملائكة. وهكذا، الغرض من النبوة والناموس، وهو تهذيب الأنفس الإنسانية وإصلاحها وتخليصها من جهنم، عالم الكون الفساد، وإيصالها إلى الجنة، ونعيم أهلها في فسحة عالم الأفلاك واسعة السماوات، والتنسم من ذلك الروح، والريحان المذكور في القرآن. فهذا هو المقصود من العلوم الحكومية والشريعة النبوية، وأما اختلافهما في الطرق المؤدية إليها، فمن أجل الطبائع المختلفة، هو الأغراض المتغايرة التي عرضت للنفوس. رجع الدكتور فؤاد معصوم. ، إخوان الصفاء، صفحة 126 و127.

([281]) ويختلف الدين من الشريعة في نظر إخوان الصفا، فالدين أمر إلهي، وهو اطمئنان في الإنسان واعتقاد بالله وبأحوال الدنيا والآخرة، ولذلك لا يجوز الإكراه في الدين، لأن الإكراه لا يمكن أن يغير شيئا في عقيدة الناس الباطنة. راجع الجزء الرابع من رسائل إخوان الصفا صفحة 476. ثم إن الدين واحد عند جميع الأنبياء، ولكن للدين شرائع متعددة. بتعدد الأنبياء أو على الأصح، كما يرى إخوان الصفا، بتعدد البيئات التي يوجد فيها هؤلاء الأنبياء. والشريعة أو شريعة الدين أمر وضعي دنيوي به يكون ثبات الدين ودوامه بين الناس، ولذلك جاز إكراه الناس على اتباع الشريعة، ولم يجز إكراههم على الأخذ بالدين، فالعمل بالشريعة إذا ليس شيئا أكثر من العمل بظاهر الدين مجارات للناس، سواء كان الإنسان يعتقد بما يعمل أم لا يعتقد به. راجع الجزء الرابع من رسائل إخوان الصفا صفحة 476. وللشريعة عندهم اسم آخر هو الناموس رسائل إخوان الصفاء جزء الرابع، صفحة 100. وصفحة 138، وصفحة 168، والجزء الثالث، صفحة 48. أما الغاية من وضع الناموس فذات شقين، شق ديني، وشق دنيوي. ولكنها، أي الغاية. على كل حال، غامضة، كما يقول إخوان الصفا. الجزء الرابع ، ص 137. إلا أنها بلا شك تنحو نحو البلوغ إلى الحق. وحكم الصواب، وعمل الخير، وتجنب الزور والبهتان.

بنفس معنى ومدلول لفظ العدل في الفلسفة. [282] ويؤكدون على أن أهل الفلسفة الحكمية والشريعة الدينية متفقون في إجاباتهم عن المعاني الحقيقية.[283] فعلى الرغم من اختلافهم في الألفاظ المستخدمة، إلا أنهم متفقون في المعاني المقصودة.

كما أن الفرق بين صاحب الشريعة وبين الفيلسوف في نظر إخوان الصفا هو فرق في الشكل وليس في المضمون، وصاحب الشريعة لا ينسب إلى رأيه واجتهاده وقوته شيئا مما يقول ويفعل، ويأمر وينهي في وضع الشريعة، لكنه ينسبها إلى الواسطة التي بينه وبين ربه من الملائكة، التي توحي إليه في أوقات غير معلومة. أما الحكماء والفلاسفة إذا استخرجوا علما من العلوم أو صنعة من الصنائع، أو دبروا سياسة نسبوا ذلك كله إلى قوة أنفسهم، واجتهادهم، وقوة رأيهم وفحصهم، وبحثهم.[284] ولكن كلا من النبي والفيلسوف ليس إلا أحد النفوس الجزئية التي تصورت بصورة النفس الكلية، أو قاربتها، وذلك بحسب قبولها ما يفيد عليها من العلوم والمعارف والأخلاق الجميلة، وكلما كانت أكثر قبولا كانت أفضل وأشرف من سائر أبناء جنسها.[285]

ولما كان الهدف واحدا من كل من الدين والفلسفة فقد قام مذهب إخوان الصفا على أساس الجمع بين الشريعة والفلسفة، ومن ثم مجدوا الفلسفة الممزوجة بالشريعة، ووضعوا الحكماء والكهنة في مصاف الأنبياء والرسل، ومدينتهم الفاضلة تضم إلى جانب أهل الديانات والشرائع النبوية، أهل الآراء الفلسفية

رسائل إخوان الصفا الجزء الرابع ، ص 138 أما اختلاف الشرائع فلا يضر بالدين. أنظر، رسائل إخوان الصفا الجزء الرابع ، ص 24 - 29، لأن كل شريعة تكون بحسب بيئة أهلها المقصودين بها، وبحسب زمنهم، والشريعة تكون لاتباعها بمثابة مدينة أو دولة روحانية يعيشون فيها عيشة روحية. وكلما كان عدد أتباع الشريعة أكثر كانوا أشد سرورا وفرحا. أنظر، الجزء الرابع من رسائل إخوان الصفا، صفحة 187. كما لا يجوز لأحد أن يتهاون بأمر ناموس الشرائع حتى الفلاسفة لا يجوز لهما ذلك. أنظر الجزء الرابع، صفحة 179. إلى 190. وكذلك لا يغفر لأحد أن يستغل أمر الشريعة في سبيل الدنيا. الجزء الرابع صفحة 29 و30

([282]) أنظر رسائل إخوان الصفا الجزء الرابع ، ص 308.

ويتضح ذلك من قولهم." اعلم أن العلوم الحكمية والشريعة النبوية، كلاهما أمران، إلهيان تتفقان في الغرض المقصود منهم الذي هو الأصل، ويختلفان في الفروع. فإذا كانت الفلسفة تهدف إلى تهذيب النفس والترقي، من النقص إلى التمام والخروج من حد القوة إلى الفعل، بالظهور لتنال بذلك البقاء والدوام والخلود، فإن الغرض من النبوة والناموس هو تهذيب النفس الإنسانية، وإصلاحها وتخليصها من جهنم لتصير في الجنة، وإذا كان هذا هو الحديث من كل من الشريعة والفلسفة، إلا أن لكل منهما طريقه المختلف لتحقيق المقصود، وسبب الاختلاف في نظر إخوان الصفاء، أن الطبائع المختلفة، والأغراض المتغايرة التي عرضت للنفوس، فترتب على ذلك اختلاف موضوعات الشرائع والديانات لكي تتلاءم مع هذه الطبائع المختلفة في الأزمنة المختلفة. كما اختلفت عقاقير الأطباء علاجاتهم بحسب اختلاف الأمراض العارضة للأجزاء من الآلام والأوجاع بحسب اختلاف الأزمنة والأمكنة". رسائل إخوان الصفاء، الجزء الثالث، ص 30.

([283]) أنظر الرسالة الجامعة، ج 1، ص 110. وايضا ، ج2 .ص 282.

([284]) أنظر رسائل إخوان الصفاء، الجزء الرابع، ص 136.

([285]) أنظر رسائل إخوان الصفاء، الجزء الثاني، ، ص ١٠.

والحكمية.[286] فذهب إخوان الصفا في جمعهم بين الدين والفلسفة إلى القول بأن العبادة الشرعية هي الإسلام [287]، والعبادة الفلسفية هي الإيمان، وأن كلا منهما يكمل الآخر، إلا أنهم قدموا الشريعة على الفلسفة. فجعلوا العبادة الشرعية شرطا للعبادة الفلسفية.[288]

وهكذا نجد أن إخوان الصفا قد جعلوا الفلسفة في مرتبة تالية للشريعة، فالفلسفة في نظرهم هي أشرف الصنائع البشرية بعد النبوة، وهاجموا – لذلك – المتفلسفين الذين ينكرون الشرائع أو يهملون أداء فروضها، والعمل بأحكامها، ووصفوهم بأنهم شياطين الإنس والجن. كما ذهبوا إلى أن هناك بعض الأمور التي لا يستطيع عقل الإنسان معرفتها أو إدراكها إلا عن طريق الوحي، أي عن طريق الشرائع التي يأتي بها الأنبياء.[289]

([286]) وقد ذكر إخوان الصفا، إلى جانب نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد. كل من أفلاطون وفيثاغورس. وغيرهم من الفلاسفة. كما استشهد في المسألة الواحدة بأحاديث الرسل وأحاديث الفلاسفة أمثال سقراط، وفيثاغورث. راجع الدكتور/ محمد فريد، حجاب، المرجع السابق ص 218 - 219. وقد ذهب البعض إلى القول بأن رسائل إخوان الصفا، -على حد تعبير جارديه- ، تقدم الآراء الذكية للفيلسوف باعتباره منسجما مع الدين في حقيقته الأصلية كما يفصح عن ذلك المعنى الخفي الباطني، بمعنى أن البحث الفلسفي عند إخوان الصفا ينبغي أن ينسلك في المعنى الباطني للقانون الديني. انظر، لويس جارديه ، التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفارابي. ترجمة. دكتور إبراهيم السامرائي، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، مهرجان الفارابي، بغداد 1975. ، ص ٨ -٩.

([287]) إذ قالوا أن الإسلام خير دين دان به المتألهون وأفضل طريق يقصده إلى الله القاصدون، وهو القدوة بدين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعلم كتابه الذي جاء به مهيمنا على كتب الأولين، وبسنة الشريعة التي هي أعدل سنه المرسلون. أنظر، رسائل اخوان الصفا، الجزء الرابع، ص 242. وهكذا كان الإسلام أفضل الأديان فصل هو المسلمون أفضل الأمم . رسائل إخوان الصفا: الجزء الرابع ص 172 راجع دكتور عمر فروخ. إخوان الصفاء. ، صفحة 105. ويرى إخوان الصفا أن معنى الدين في اللغة العربية هو الطاعة من جماعة لرئيس واحد ، وأن الله تعالى جعل الدين طريقا من الدنيا إلى الآخرة، وجعل قوام الدين صلاحا للدنيا والآخرة جميعا، فالدين الحقيقي عندهم إذن أن ينقاد كل مرؤوس لطاعة رئيسه، يطيعه في ما يأمره به وينهاه عنه فيما فيه صلاح للجميع ، وهو ضروري في سياسة الناس. الدكتور/ عمر فروخ: إخوان الصفا (درس، عرض، تحليل) ، ص 105 ومن العجيب أن إخوان الصفاء يحثون الإنسان على أن يبحث عن دين بلا عيب، ولا يعذرونه إذا تمسك بدينه ومذهبه، إذا رأى ما هو خير منها. رسائل إخوان الصفا: الجزء الرابع ،ص 37 - 38.

([288]) وفي هذا يقول إخوان الصفا، " أما العبادتان فإحداهما الشرعية الناموسية باتباع صاحب الناموس، والانقياد إلى أوامره ونواهيه.... وأما العبادة الفلسفية الإلهية، وهي الإقرار بتوحيد الله عز وجل.....فأعلم يا أخي أنك متى كنت مقصرا في العبادة الشرعية ، فلا يجب لك أن تتعرض لشيء من العبادة الفلسفية،..... واعلم أيها الأخ أن جماعة إخوان الصفاء أحق الناس بالعبادة الشرعية..... وأحق الناس أيضا بالعبادة الفلسفية الإلهية. راجع ، رسائل إخوان الصفا الجزء الرابع، صفحة 261 - 268.

([289]) انظر في ذلك رسائل إخوان الصفا، الجزء الثالث، ص 22 - 23. ويجدر بنا هنا أن نشير إلى. لأن الكندي يرى أن هناك اتفاقا بين الدين والفلسفة من جهة. الموضوع. ومن جهة الغاية. ومن جهة المنهج. فمن جهة الموضوع، كلاهما يطلب الحق والخير ومن جهة الغاية. فكلاهما يسلك طريق البرهان، ولكن الدين ينفرد إلى جانب ذلك، بل قبل ذلك، باتباع طريق السمع والخبر، أي: ما نزلت به الشريعة على ألسنة الأنبياء والرسل. أنظر في ذلك الكندي، رسالة في الفلسفة الأولى، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق دكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة. دار الفكر العربي، القاهرة، 1950. ، ص 77- 83. وراجع الدكتور / محمد فريد حجاب ، المرجع السابق، ص 220. والدكتور / عمر فروخ ، المرجع السابق، صفحة 105.

وقد اعتمد إخوان الصفا على نظرية التأويل الباطني في التوفيق بين الدين والفلسفة، أو بمعنى آخر، التوفيق بين الظاهر والباطن. حيث استخدم إخوان الصفا المعنى الظاهر للوصول إلى المعنى الباطني المستتر. وقد كان لهذا المنهج أثر في فلسفتهم السياسية . وهو ما نتناوله في الفقرة التالية:

المطلب الثاني

التوفيق بين الدين والفلسفة بالتأويل

يوجد ارتباط وثيق بين الفلسفة والدين يرجع لعدة أسباب أهمها: أن تاريخ الفلسفة يبرهن بوضوح عن وجود صلة قوية بين الفلسفة والدين منذ العصور القديمة. فالديانات القديمة، خاصة المصرية والبابلية والأشورية، هي التي مهدت الظهور للفلسفة في بلاد اليونان. كما أن الدين نفسه لا يعارض الفكر النظري أو التأمل العقلي، بل يدعو إلى التأمل في ظواهر الكون ويحث على النظر العقلي، ودراسة للفلسفة لا تهز المعتقدات الدينية إلا إذا كانت هذه الأخيرة ضيقة، وجامدة ومتزمتة.[290] فالإحساس بالحاجة للتوفيق بين الدين والفلسفة أمر طبيعي يحسه المؤمن المفكر أو الفيلسوف، بهدف تحقيق الانسجام بين المعتقد الديني والنظر العقلي، لذلك نجد لهذه الفكرة أصلها الموغل في القدم، كما نجد كل المدارس الفلسفية في العصر القديم تقريبا تحتفظ بمكان صغير أو كبير للأمور الدينية، كما كانت محاولات الفلاسفة عبر الزمان من اليهود والمسيحيين وغيرهم للتوفيق بين الدين والفلسفة بتأويل النص الديني.[291]

([290]) راجع في ذلك. د/ إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الفلسفة. ، دار الثقافة للطباعة والنشر ،القاهرة 1974. صفحة 106، وصفحة 108. وأيضا، الدكتور/ محمد فريد حجاب. الفلسفة السياسية عند إخوان الصفاء، المرجع السابق ، ص 211 و212.

([291]) وتجدر الإشارة هنا إلى أن التأويل الفلسفي. وعلى الرغم من أنه كان معروفا لدى اليونان، خاصة الفيثاغورين، الذين كانوا أول من ابتكر هذه الطريقة؛ إلا أن الإسكندرية كانت هي المركز الأهم لهذا النمط من التفكير، ومحاولة التوفيق بين الفلسفة والدين. وأشهر من عرف بمحاولته التوفيق بين الفلسفة والدين من فلاسفة الإسكندرية. هو فيلون السكندري الذي كان لكتابته في هذا الصدد، أثر مباشر أو غير مباشر على مفكري المسيحية والإسلام في العصر الوسيط. كما نجد أن بحث العلاقة بين الدين والفلسفة، أو بين الوحي والعقل كانت طابع التفكير في العصر الوسيط، وهو ما نراه واضحا لدى فيلون اليهودي وأمثاله بمدرسة الإسكندرية الفلسفية، وعند بعض آباء الكنيسة في ذلك العصر. كما أن الفلاسفة المسلمين لم ينكر أيا منهم بصفة عامة هذا الاتجاه. وأصل ظاهرة تأويل النصوص الدينية لدى المفكرين الدينيين ترجع في الأساس إلى أن الأنبياء وأحبار الدين ورؤسائه تكلموا في بعض الأمور. مثل مسائل الطبيعة وما بعدها بأسلوب المجاز والألغاز عمدا لخطورة الموضوع وصعوبة فهم العامة له، ومن ثم وجبت تأويل لبعض النصوص بالنسبة للحكماء الذين تؤهلهم عقولهم واستعداداتهم لإدراك ما فيها من حقائق. ووردت بطريق الرمزي والمجاز. أنظر، الدكتور محمد فريد حجاب، المرجع السابق صفحة 212.

وقد ظهر التأويل عند اليهود بعد اتصالهم بالفلسفة اليونانية. حيث دفعهم ذلك للبحث والتفكير والمقارنة بين ما لديهم. وما علموه في هذه الفلسفة. وانتهوا إلى أن الفلسفة تعتبر شروحا للحكمة التي تزخر بها التوراة نفسها. ومن ثم أخذوا يعملون على استخلاص هذه الفلسفة من التوراة بطريق التأويل، وقد قام عمل فيلون على هذا التصور والفهم، وقد فسر البعض دوافع اليهود في المزج بين العقل والنقل. أن ذلك يرجع لمحاولتهم، إظهار دينهم بأنه حوى كل ما يعتز به اليهود من فلسفة نقلتها عن عقول الأمم الأخرى، فكان من هذا لجوئهم إلى التأويل المجازي ليقرر بأن دينهم السماوي قد حوى كل ما لدى اليونان من معارف. وقد استمر ذلك المذهب عند اليهود، فنجده ظاهرا جليا عند بعض أحبار اليهود بعد فيلون بعدة قرون. فذهب بعضهم إلى القول بأهمية وضرورة التأويل المجازي للتوراة. مثل سعاديا الفيومي في القرن العاشر الميلادي، وابن جبرائيل في القرن الحادي عشر الميلادي، وابن ميمون في القرن الثاني عشر الميلادي. أنظر دكتور/ محمد يوسف موسى. ، بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، القاهرة، 1968، صفحة 120. ، وأيضا الدكتور / محمد فريد حجاب المرجع السابق صفحة 213.

ويمكن التمييز بصفة عامة بين نمطان أو مذهبان للتوفيق بين الدين والفلسفة، اعتمادا على فكرة التأويل. يعتمد المذهب الأول على شرح الحقائق الدينية المجملة بالآراء الفلسفية التي من شأنها أن تكون منفصلة. ويقوم المذهب الثاني بتأويل الحقائق الدينية بما يتفق مع الآراء الفلسفية.[292]

وقد ظهر الاتجاهان لدى فلاسفة الإسلام، وربما كان ذلك للعوامل نفسها التي ثارت في اليهودية والمسيحية، ولكن مع إضافة عامل جديد، وهو أن أصحاب كل مذهب من المذاهب الإسلامية حاولوا إيجاد سند لآرائهم من كتاب الدين نفسه عن طريق تأويل نصوص القرآن بما يتفق مع هدفهم.[293] وما

وعلى ذات النمط، نجد الفلاسفة المسيحيين أو فلاسفة المسيحية حيث ذهبوا إلى أن الإنجيل قد حوى كل ما هو حق في فلسفة اليونان، كما حوى حقائق أخرى لم يصل إليها هؤلاء الفلاسفة. إلا أن نصوصه، أي الإنجيل، إذا أخذت كلها حرفيا – أي بظاهر ألفاظها- لا تظهر منه هذه الحقائق، ومن ثم كان لا بد له من تأويل بعض النصوص ليظهر ما فيها من المعاني الخفية الفلسفية، وقد وقفت الكنيسة هذا الموقف منذ البداية، حيث قبلت مبدأ احتمال بعض النصوص معاني متعددة. ومن ثم سار فلاسفة المسيحية بشأن تأويل النصوص على ضوء القواعد والأصول التي تعارف عليها اليهود من قبل، فنرى كليمانت السكندري في القرن الثالث الميلادي يؤل ما جاء في الكتاب عن قصة خلق العالم، ويأتي بعده أورجين والقديس جيروم. في القرن الخامس الميلادي، فيسيران في نفس الاتجاه الذي اختطه كيليمانت ، كما نجد القديس أوغسطين يسير في التأويل المجازي، بشرط أن تكون نتيجته متفقة مع العقيدة، ومع ضرورة تقدير المعنى الحرفي أولا، وقد أصبح هذا الشرط الأخير مبدأ متوارثة لدى الكثير من مفكري ورجال الدين المسيحي فيما بعد، مثل القديس برنارد في القرن الثاني عشر الميلادي. الذي وقف موقف المعارض الشديد للنزعة التوفيقية المغالية التي كانت تتغافل المعنى الحرفي الذي هو أساس التوفيق بين الدين والفلسفة، ومثل ألبرت الكبير في القرن الثالث عشر الميلادي، الذي يعتبر بحق الممثل للتفسير الحرفي. وتلميذه الشهير القديس توماس الإكويني، الذي كان يستبعد التأويل المجازي إذا كانت تتعارض مع النص الحرفي. أنظر الدكتور/ محمد فريد حجاب، المرجع السابق، صفحة 213 وصفحة 214. وأيضا الدكتور / حامد ربيع، النظرية السياسية، صفحة 165.

([292]) راجع الدكتور/ محمد فريد حجاب: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفاء، ص 211.

([293]) ويجدر هنا أن نشير إلى الفارق بين التأويل لدى مفكري الإسلام الذي هو موضوع الحديث. وبين التفسير الذي يراد منه فهم القرآن. وبينت طويل الذي يراد منه الاستدلال للرأي أو مذهب معين. فبالرغم من أن رجال السلف في فجر وصدر الإسلام، كانوا يتهيبون القرآن ، إلا أن القرآن – وكما يذكر الدكتور / محمد فريد حجاب- لم يلبث أن ناله ما نال الكتاب المقدس (عند اليهود والمسيحيين) من قبل. فقد ظهر التأويل المجازية لبعض آيات القرآن الكريم على أيدي المعتزلة والمتصوفة والشيعة. وكان لهم من هذه الطريقة أغراض محددة. ولهم لبلوغ هذه الأغراض وسائل خاصة. فالمعتزلة أرادوا أن يبعدوا عن الله تعالى كل ما يوهم التجسيم أو التشبيه، وأن يؤكدوا حرية المرء في أعماله، فصرفوا كثيرا من الآيات عن معانيها الحرفية الظاهرية، إلى معان أخرى مجازية، ومن أجل ذلك نجد بينهم وبين فيلون السكندري وابن ميمون تشابها كبيرا من ناحية الهدف من تأويل بعض النواحي، وإن اختلفوا عنهما، في أن هدفهم لم يكن إظهار اشتمال القرآن على أمهات الأفكار والآراء الفلسفية اليونانية، بل أن بعضهم رأى أنهما متناقضان. وأنا ع هذا، حاول التقريب بينهما، لا على اعتبار أنهما شيء واحد، بل أنهم شعروا بضرورة التوفيق بينهما، مدفوعين بعقيدتهم في المنزلة بين المنزلتين. أنظر، الدكتور / محمد فريد حجاب ، المرجع السابق، ذات الاشارة، وأيضا، الزهدي حسن جارالله، المعتزلة، ص 56.

وكان للصوفية أيضا تأويل مجازي للقرآن خاص ومبهم. وهم مثل الشيعة، يرون أن الإمام علي بن أبي طالب ورث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. علم التأويل كله، فلا ينبغي أن تلقن إلا للمريدين وحدهم، شيئا فشيئا. وهذه الفكرة ينكرها أهل السنة، إذ أن النبي عندهم لم يخفي شيئا عن جمهور أمته، ولم يفضل أحد بعلم باطني. أنظر، جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام ، ص 157 و158.

ويرى البعض أن تأويل الصوفية والشيعية، وخاصة الباطنية منهم، تختلف عن تأويل المعتزلة في أمرين، الأول يتمثل في المبالغة في التأويل المجازي الذي لا قرينة عليه مطلقا من القرآن في طلب ما زعموه من المعاني الخفية فيه، حتى

يهمنا هو أن نعرض بإيجاز لمذهب إخوان الصفا في مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة واتخاذهم مبدأ التأويل، وعلاقة هذه الفلسفة بفلسفتهم السياسية.

فيرى إخوان الصفا أن الدين ضرورة للإنسان، فأعلى ما لديه من وسائل المعرفة، هو العقل، والعقل قاصر عن بلوغ الأمور الإلهية. وكان لا بد له من الإلمام نوعا ما بتلك الأمور، ولم يكن ليتم له ذلك لولا الدين، لذلك، فكثير من الناس مجبولون على التدين، وما بعث الله الرسل والأنبياء، إلا بالتأكيد لما في نفوسهم، من أمر الدين. وهكذا، يبدو أنه لا نزاع بين الدين والفلسفة في نظر إخوان الصفا.[294] وهكذا، فإن إخوان الصفاء يجيبون على السؤال المتعلق بالنزاع بين الدين والفلسفة، بأنه لا وجود لهذا النزاع فيما بينهم، وذلك لوحدة غاية الدين والفلسفة. كما أن الخصام الظاهر بين الدين والفلسفة، إنما هو بين الفلاسفة ورجال الدين، وليس بين الدين والفلسفة ذاتها، فسبب إنكار بعض العلماء الشرعيين الفلسفة إما قصور فهمهم، أو لتركهم النظر فيها واشتغالهم بعلم الشرع وأحكامه، أو لعناد بينهم. وأما الفلاسفة

خرجوا به عن معانيه الحقة والثاني أن إسناد هذا التأويل للإمام علي بن أبي طالب كان دون دليل صحيح. الدكتور/ محمد يوسف موسى بين الدين والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 153.

وقد تعرض بعض من أهل السنة أيضا لمشكلة التأويل، فنجدها عند المتكلمين أو رجال علم الكلام، فقد تعرض لها كل من الإمام الغزالي في القرن الخامس الهجري، وابن تيمية في القرن الثامن الهجري، ويقف في كل منهما موقفا خاصا يتعارض مع موقف الآخر في هذه المشكلة. فالغزالي يرى أن في القرآن والحديث نصوصا تفيد غير معانيها الظاهرية، ومن ثم يجيز تأويلها، ولهذا عني بوضع رسالة في ذلك تسمى: ((قانون التأويل))، كما تناول نفس المشكلة بالبحث في رسائل أخرى هي ((إلجام العوام عن علم الكلام)) حيث أن بعض النصوص القرآنية والحديثية. لها، في رأيه، معان خفية، لا يصل إليها إلا أهل المعرفة، والإمام الغزالي، مع مشاركته للصوفية في أنه يوجد مريدون يصح انتزاع لهم التأويل الحقيقية، والمعاني الخفية لبعض النصوص، لم يفرط مثلهم في التأويل، بل إنه رأى التوقف فيه عندما لا يوجد دليل قطعي على تعيين المعنى المجازي المراد. راجع في ذلك. الإمام الغزالي: قانون التأويل، القاهرة 1940. م. وأيضا الإمام الغزالي: إلجام العوام عن علم الكلام. القاهرة. 1351 هجريا. والدكتور / محمد فريد حجاب ، المرجع السابق.

إمام تقي الدين ابن تيمية، فإنه قد وقف من مشكلة التأويل موقفا معارضا، حيث يرى ضرورة التفرقة بين مدلول التأويل في عرف السلف الذي يعني التفسير وبيان المراد من النص، وبين مدلوله عند المتكلمين والمتصوفة والفلاسفة. حيث يعني التأويل وصرف اللفظ عن المعنى المدلول عليه المفهوم منه إلى معنى آخر يخالف ذلك. انظر، ابن تيمية : بيان موافقة صريح المعقول لتصحيح المنقول على هامش كتاب مناهج السنة في الرد على مناهج الكرامة. القاهرة 1331 هجرية، الجزء الأول ، ص 115 - 120.

ولذا، نرى ابن تيمية ينتقد بشدة ابن رشد وابن سينا والغزالي وغيرهم من المتصوفة والفلاسفة الذين اصطنعوا طريقة التأويل، لبث آرائهم في القرآن والحديث، وبذلك مزجوا هذين المصدرين المقدسين بالآراء الفلسفية التي جعلوها أصلا يؤولون النصوص الدينية بحسبها لم تتفق معها، ولذلك أيضا قد يضطرون عندما يجدون أن النص لا يوافق، ما زعموه حقا بعقولهم إلى أن يقولوا أن الرسل تكلموا، على سبيل التمثيل والتغيير للحاجة إلى إفهام العامة وامثالهم. راجع في ذلك ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول..... مرجع سابق، ص 73 - 117. وأيضا ابن تيمية: مناهج السنة يفضي على مناهج الكرامة ، الجزء الأول، مرجع سابق، صفحة. 98.

وعلى أية حال، فقد وضعت المشكلة نفسها أمام كثير من مفكري الإسلام والفلاسفة المسلمين من الكندي وإخوان الصفا والفارابي و السجستاني، وابن طفيل وابن رشد في المغرب، بل تظهر العلاقة بين الفلسفة والدين طوال عصور متعاقبة. إحدى أمهات المسائل الكبرى للفكر الإسلامي. أنظر، د/ محمد فريد حجاب ،: المرجع السابق

([294]) الدكتور/ فؤاد معصوم. المرجع السابق، ص 129.

الذين ينكرون الدين، فقد ذهبت عنهم معرفة كتب الأنبياء، لتركهم البحث عنها، وإعراضهم عن النظر فيها، وقصور فهمهم عن تصورها.[295]

وقد انتهج اخوان الصفا منهجا مغايرا لمن سبقهم أو عاصرهم من فلاسفة المسلمين خاصة الكندي والفارابي للتوفيق بين الدين والفلسفة، حيث لم ينتهجوا نهج الجمع بين الحقائق الدينية والحقائق الفلسفية عن طرق الميل بإحداها إلى الأخرى والانتهاء إلى استخلاص حقيقة ثالثة تجمع العناصر المشتركة والمتسقة بينهما؛ وإنما كان منهجهم يقوم على رفع النزاع وتقرير التعاون بينهما، وشرح بعض النصوص الدينية بالمعاني الفلسفية التي تتدرج على حسب تدرج المدارك الفكرية للناس. [296]

ويتلخص منهج اخوان الصفا في التوفيق بين الدين والفلسفة فيما رأوه من أن الفلسفة تقوم على الرؤية الدقيقة والصادقة للدين أي أن الفلسفة هي المنهج العقلي لفهم الدين[297] ومن هذا التوفيق قال إخوان الصفا باعتبار النبي فليسوفا قبل أن ينزل عليه الوحي بحيث لو لم يكن نبيا لظل فيلسوفا، وعلى هذا أقاموا بين ما يعرفه النبي كفيلسوف وما يعرفه كنبي، واستندوا إلى حديث نسبوه للنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لو عاش أرسطو طاليس لآمن بي". وهذا حديث لم يثبت له أصل، بل ويقرر الأستاذ فؤاد معصوم أنه ظاهر الوضع. [298]

وتحكم فكرة التوفيق بين الدين والفلسفة عند إخوان الصفا، عدة اعتبارات تتمثل في ما يلي:

1- **<u>الاعتراف بالقيمة الحقيقية للمعرفة الآتية عن طريق الوحي</u>**. ومن هنا يكون التوفيق بينهما وبين الحقائق الفلسفية، أي التوفيق بين حقيقتين لهما قيمتهما، وإلا لساغ إهمال إحداهما على حساب الأخرى.

([295]) أنظر الدكتور / فؤاد معصوم. ، المرجع السابق ، ص 129.

([296]) فقصروا المعرفة الفلسفية على الرياضيات والطبيعيات، فأعلى الناس في الصنائع والمعارف هم الحكماء، وأما بالنسبة للمعارف الميتافيزيقية فقد أحالوا الناس في معرفة حقيقتها إلى الوحي حيث أن العقل عاجز عن إدراكها. د/ فؤاد معصوم: المرجع السابق، ص 131.

([297])، وهذا ما يتفق مع ما ذهب إليه أوغسطين من أن الإيمان لازم للتعقل ، وما أكده كليمنت من أن الفلسفة أداة للتفقه في الدين. د/ فؤاد معصوم: المرجع السابق، ص 131.

([298]) د/ فؤاد معصوم: المرجع السابق، ص 132.

2- **اعتبار النبي فيلسوفا قبل أن ينزل عليه الوحي**، بحيث لو لم يكن نبيا لظل فيلسوفا، وعلى هذا يقوم التوفيق بين ما كان يعرفه نبي كفيلسوف، وما يعرفه كنبي.

3- **القول بنظرية الظاهر والباطن**، وأن النصوص الدينية تحتمل إلى جانب معانيها الظاهرة القريبة، معاني أخرى باطنية لا يدركها إلا الراسخون في العلم، وتفسير تلك النصوص الدينية بتلك المعاني الفلسفية الدقيقة.[299]

ويؤكد الدكتور محمد فريد حجاب أن فلسفة إخوان الصفا ومذهبهم في التأويل يعتمد بشكل رئيس على مفهومهم لكل من الدين والفلسفة، وعلاقة كل منهما بالآخر من جانب، وعلى أفكارهم الخاصة بفلسفة الظاهر والباطن من جانب آخر. ولكي نقف على منهج إخوان الصفا في التوفيق بين الدين والفلسفة سنتناول فيما يلي منهجهم في تأويل النصوص الدينية باستخدام الفلسفة، والقول بالظاهر والباطن في النصوص الدينية.

المطلب الثالث

الظاهر والباطن في فلسفة إخوان الصفا

يؤسس إخوان الصفا لفكرة الظاهر والباطن بقولهم أن البشر متفاوتون من ناحية إدراكهم العقلي للأمور، وأنه كان من الصعب على الأنبياء أن يذكر بعض الحقائق التي يدق فهمها على العامة بسبب ضعف عقولهم، لهذا جاءت الألفاظ مشتركة المعاني، ليحمل كل ذي لب وعقل وتمييز بحسب طاقته واتساعه في المعارف.[300] ومن ثم عمل الأنبياء على إخفاء الأسرار عن العامة والجهال؛[301] فالحقائق التي لا يعلمها إلا الخاصة غلفت بغلاف ظاهري ليفهمها العامة بظاهرها. وهذا المفهوم هو الذي عرف بفلسفة الظاهر والباطن، واتباع هذه الفلسفة هم الذين أطلق عليهم أحيانا لقب الباطنية.[302]

([299]) الدكتور/ فؤاد معصوم، إخوان الصفا، مرجع سابق، ص 131 - 132.

([300]) رسائل إخوان الصفا، الجزء الثالث ، ص 299.

([301]) "لأن أكثر كلام الله تعالى وكلام أنبيائه، وأقاويل الحكماء، رمز لسر من الأسرار، مخفيا عن الأشرار، وما يعلمها إلا الله تعالى، والراسخون في العلم، وذلك أن القلوب والخواطر ما كانت تحمل فهم معاني ذلك.... ولذلك الغرض، ألبس حقائق الأشياء بلباس غير ما يليق بذلك، حسب فهم عامة البشر، ولكن الخواص والحكماء يعلمون الغرض، والحقيقة في ذلك". أنظر، رسائل إخوان الصفا، الجزء الثاني، ص 343 - 344.

([302]) أنظر. الدكتور محمد فريد حجاب، المرجع السابق، ص 221. ونذكر هنا ما أورده أبو حيان التوحيدي. في الحوار بين الحريري والمقدسي، والذي يستفاد منه أن فكرة الظاهر والباطن لم تكن معروفة لدى فلاسفة اليونان، ومن ثم لم يكن

فكل شيء عند إخوان الصفا له ظاهر وباطن [303] ويذكر الدكتور/ محمد فريد حجاب[304] أن رسائل اخوان الصفا نفسها لها ظاهر وباطن، حيث يقول الاخوان في أحد فصول رسائلهم: "وكان هذا الفصل من العلم غامضا دقيقا، ظاهره علم جليل، وباطنه سر نبيل ومستور وخفي لا يصل إليه إلا أهل البصائر المرتاضون بالعلوم العقلية والمؤيدون بالتأييدات الربانية.[305] وذلك اعتراف من اخوان الصفا بأن لبعض فصول رسائلهم معنى ظاهر وآخر باطن.

ونجد بعض التضارب في فكرة الظاهر والباطن عند اخوان الصفا، فهم يرون أن الظاهر ستر للباطن، ولا يجب الوقوف عند الظاهر لأنه لم يوضع إلا من أجل الباطن [306] وبالرغم من ذلك يظل للظاهر قيمة وأهمية في فلسفة إخوان الصفا، حيث يرون أن الظاهر شرط للباطن، فلا يجب في رأيهم اهمال الظاهر كله أو تركه، لأن اتقان المعرفة بالظاهر هي السبيل لمعرفة الباطن.[307]

هناك داعي للتطرق لهذه الفكرة لعدم وجود كتاب سماوي لهما، وإنما هي من نسج القداح ينفي الإسلام. وفي هذا المعنى، يقول أبو سليمان المنطقي السجستاني. وليس لليونان نبي يعرف، ولا رسول من قبل الله صادق. وإنما كانوا يفزعون إلى حكمائهم في وضع ناموس يجمع مصالح حياتهم، ونظام معيشتهم، ومنافع أحوالهم في عاجل تهم. وكانت ملوكهم تحب الحكمة، وتؤثر أهلها، وتقدم من تحلى بجزء من أجزائها، وكان ذلك الناموس يعمل به، ويرجع إليه حتى إذا أبلاه الزمان و أخلفه الليل والنهار عادوا فوضع وناموس آخر جديدا. بزيادة شيء على ما تقدم أو نقصان على حسب الأحوال الغالبة على الناس والمغلوبة من الناس. انظر أبو حيان التوحيد، الإمتاع، والمؤانسة، مرجع سابق، الجزء الثاني ، ص16.- 22
غير أنه، وكما ذكر الدكتور محمد فريد حجاب. أن فكرة الظاهر والباطن. لها أثرها في فكر أفلاطون. الذي يرى أن الموجودات. لها صور. مجردة في عالم الإله. هي المثال الإلهي. أنظر لسيادته. المرجع السابق. وقد كانت فلسفة الباطنية محل اهتمام كتاب الفرق الإسلامية. زي قول الشهر الثاني عن لقب الباطنية الذي لقبت به الفرقة الإسماعيلية من الشيعة، إنما الذي مهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا. ولكل تنزيل تأويل. راجع في ذلك الشهر الثاني، الملل والنحل. الجزء الأول، ص 192.

([303])، فالموجودات التي خلقها الله، بعضها ظاهر جلي لا يخفى، وبعضها باطن خفي، لا تدركه الحواس، وقد جعل الله منها ما كان ظاهرا جليا على الباطن الخفي، والحوادث التي هي المخلوقات في عالم الكون والفساد، منها ما هي ظاهرة جلية لكل إنسان، ومنها ما هي باطنة خفية تحتاج في معرفتها إلى تأمل، وتفكر، واعتبار. والإنسان نفسه مكون من جسم ظاهر كالقشرة ونفس باطنة خفية كاللب. راجع، رسائل إخوان الصفا، ج2، ص 379 ، رسائل إخوان الصفا، ج 3، ص 486.

([304]) د/ محمد فريد حجاب : المرجع السابق، ص 223.

([305]) راجع، الرسالة الجامعة ، ج1 ، ص 109.

([306]) ومن ثم هاجوا كل من تعلق بظواهر الأمور وأهمل معرفة حقائقها وبواطنها، ومعاني إشاراتها ومرامي مرموزاتها، لأنه إذا فعل ذلك يكون قد علق بما لا ينفعه، وكان مثل جسم بغير روح. وأطلقوا على أهل الظاهر هؤلاء لقب "علماء العامة" ووسموهم بالكفر- كما فعل الاسماعيلية الباطنية من الشيعة- والجهل والظلم وفساد الرأي والاعتقاد في سوء القول. جولدتسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام، ص 241. رسائل اخوان الصفا، ج3 ، ص 61 – 63.

([307]) انظر، د/ محمد فريد حجاب ، المرجع السابق، ص 223 – 224 ، رسائل اخوان الصفا، ج3، ص 459.

المطلب الرابع

أثر التأويل في الفلسفة السياسية لإخوان الصفا

لقد ظهرت وتبلورت فكرة التأويل واستخدامها السياسي عند اخوان الصفا في التبشير بالمهدي المنتظر، واحتكار زعماء اخوان الصفا معرفة المعني الباطني للنصوص الدينية.

فقد استخدم اخوان الصفا اسلوب التأويل لتأكيد حق إمامهم في الخلافة، والتبشير بظهوره لإقامة مدينتهم الروحية الفاضلة، ولينشر العدل في الأرض بعدما ملئت جورا وظلما. وقد لجئوا للتأويل في تفسير بعض الآيات القرآنية للتبشير بظهور المهدي المنتظر، الذي هو في الحقيقة إمامهم وزعيمهم السياسي. (308)

ويقر إخوان الصفا أن التأويل يؤدي إلى معنى أخر غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ ومن ثم فلا يستطيع أن يقوم به إلا أشخاص معينون، هم الأنبياء والرسل ، ومن بعدهم خلفاء الأنبياء، الذين هم أئمتهم وقادة جماعتهم السرية. (309) ومن ثم فقد ساهم ذلك في إقرار مبدأ الطاعة العمياء داخل الجماعة ، نظرا لأن الإمام أو رئيس الجماعة هو وحده القادر على تأويل النصوص وفهم حقيقة المراد من معانيها الباطنية.

وقد انتهج نهج إخوان الصفا في مسألة التأويل الباطني لآيات القرآن الكريم أغلب الجماعات التي اتبعت في تاريخها جانب العمل السري، فنجد ذات الأفكار لدى الشيعة الفاطمية، ولدى الشيعة الإسماعيلية، وهو ما دفع بعض الكتاب للقول بأن هذه الفرق وغيرها إما أنها أصل جماعة إخوان الصفا، أو أنها وريثت منهجها.

---

(308) ومن قبيل ذلك التأويل الباطني ما يلي: تأويلهم قوله تعالي في سورة السجدة: " في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون" الآية رقم 5 بأن الألف سنة هي مدة قيام السادس ، أو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويستشهدون بقول النبي عليه الصلاة والسلام "عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخر ألفا" وتأويل قوله تعالى في سورة ق : "وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد" الآية رقم 21، بأن السائق هو عمل النفس، وأن الشهيد هو رئيس زمانها أو إمام زمانها الذي أمرت النفس بطاعته. د/ محمد فريد حجاب، المرجع السابق، ص 225- 226. الرسالة الجامعة ، ج2، ص 217- 218.

(309) أنظر، د/ محمد فريد حجاب، المرجع السابق، ص 226 – 228.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يود الباحث التأكيد على عدة أمور مهمة انتهى إليها من دراسة فكرة المدينة الفاضلة لدى إخوان الصفا وخلان الوفا.

أن المصدر الوحيد الذي يمدنا بأفكار إخوان الصفا هو رسائلهم[310] تلك الرسائل التي كانت ولازالت وستظل، سرٌ كبير في الحضارة العربية الإسلامية، صعب فهمه، أو تقديم جواب عما يدور من أسئلة واستفهامات حول أشخاص مؤلفيها، وغايتهم، وحقيقة عقائدهم، لكن – وبلا شك– حملت هذه الرسائل أهداف هذه الجماعة كما يمكن استخلاص غايتهم السياسية، ومذهبهم الفلسفي، وعقائدهم الدينية من تفحص نصوص الرسائل.

فنحن أمام إنكار للأشخاص وتماهي أعضاء هذه الجماعة داخل تنظيمها السري، بما أضفى عليها سحبا كثيفة من الغموض والشك.

كما تتميز رسائل إخوان الصفا أنها لم تكن مجرد آراء أو أحلام فلسفية أو سياسية أو اجتماعية فقط بل وجدت جانبا تطبيقيا ميزها عن غيرها من الأفكار التي تناولت فكرة المدينة الفاضلة.

كانت مدينة إخوان الصفا وخلان الوفا الفاضلة مدينة روحانية، لا مكان لتحققها في أرض الواقع إلا إذا عمل أعضاء الجماعة وقادتها لتحقيقها، ولأجل هذا أرسوا نظام التدرج في المراتب داخل التنظيم السري للجماعة، وأيضا داخل المدينة الفاضلة، وساد مبدأ الطاعة العمياء داخل التنظيم، وساعدت السرية والرمزية التي صاغ إخوان الصفا بها أفكارهم على طرح نموذج مثالي من المدن الفاضلة، فيه تتحقق كل الأماني، والغايات، فأخلص أعضاء إخوان الصفا لجماعتهم، وعملوا على تحقيق المدينة الفاضلة في أرض الواقع.

([310]) وتظل هذه الرسائل هي المصدر الوحيد الذي يحمل أفكار إخوان الصفا وخلان الوفا، رغم تعرض بعض مؤرخي القرن الرابع الهجري مثل أبو حيان التوحيدي للحديث عنهم، إلا أن ما ذكر عنهم في غير رسائلهم، لا يزيل الغموض والشك الذي أثير حولهم، ولكن بالعكس من ذلك يزيد ذلك الغموض ، ويربك كل باحث عن حقيقة إخوان الصفا، حتى أنه لا يستطيع أن ينتهي إلا إلى نتيجة مضمونها الشك في كل ما كتب حول إخوان الصفا، ومن ثم لا يجد أمامه سوى التسليم برسائلهم كمصدر وحيد يجمع أفكارهم، فيناقشها كما وردت في تلك الرسائل، وجل وما يستطيعه هو فهم أفكارهم كما رودت في الرسائل وفقا لمعطيات العصر الذي عاشوا فيه، وما يستخلصه من الرسائل من أهدافهم وغاياتهم وانتماءاتهم.

والمتأمل لحقيقة مقصدهم السياسي يجد أنهم استخدموا كلا من الفلسفة والدين لتحقيق غايتهم السياسية وهي تأسيس وإقامة مدينتهم الفاضلة، التي قالوا عنها في الرسائل أنها مدينة روحانيه، ولكن المتأمل لنظامها يجد أنه صيغ على نحو يتفق تماما مع النظام الذي وضعوه لجماعتهم السرية، ومن ثم يتأكد للمتفحص لهذه الرسائل أن غايتهم كانت هي الخروج على السلطة السياسية القائمة (الدولة العباسية) وتأسيس دولة جديدة ، وأن أفكارهم عن المدينة الفاضلة ما هي إلا وسيلة للدعوة إلى جماعتهم، ومن ثم دعوتهم السياسية الخفية.

وقد اتبعوا منهج يتفق مع غايتهم حيث اتبعوا التقية، والتأويل الباطني لآيات القرآن، للتبشير بإمامهم (المهدي المنتظر) وإقامة دولتهم التي أطلقوا عليها اسم "دولة أهل الخير"، في مقابل النظم الأخرى القائمة التي أطلقوا عليها اسم " المدن الجائرة" .

فالغاية من مدينتهم الفاضلة التي عبروا عنها في الرسائل بأنها مدينة روحية، هي غاية سياسية تتفق مع منهج إخوان الصفا في الدعوة السرية لإقامة نظام حكم يكون الإمام (رئيس جماعة إخوان الصفا) على رأسه، ومن ثم سخروا فلسفتهم ومذهبهم لتحقيق ذلك، وظهر ذلك بصورة جلية في مذهبهم في التأويل الباطني لأحكام القرآن الكريم، خاصة ما تعلق بالتبشير بالمهدي المنتظر، الذي قالوا عنه أنه إمامهم ورئيس مدينتهم الفاضلة.

واعتمد إخوان الصفا على نظرية التأويل الباطني في التوفيق بين الدين والفلسفة، أو بمعنى آخر، التوفيق بين الظاهر والباطن. حيث استخدم إخوان الصفا المعنى الظاهر للوصول إلى المعنى الباطني المستتر، وقد كان لهذا المنهج أثر في فلسفتهم السياسية، كما ظهر أيضا في مذهبهم في التوفيق بين الدين والفلسفة، إذ يرى إخوان الصفا أنه ليس بين الدين والفلسفة تعارض، فهما، وإن كان يختلفان مجالا، وأداة، إلا أن لكل منهما شخصيته وكيانه. ومع ذلك، فهما يتفقان في الغاية. فالدين والفلسفة لهما غايتان، إحداهما أولية، والثانية نهائية، إذا أن غرض الأنبياء عليهم السلام في وضعهم الناموس والشرائع، وغرض الحكماء في وضع السياسات ليس هو إصلاح أمور الدنيا فحسب، بل غرضهم جميعا في ذلك إصلاح الدين والدنيا جميعا، فعندهم أن الدين والفلسفة يتفقان هدفا ويختلفان وسيلة أو يتفقان في الغرض، وهو الأصل، ويختلفان في الفروع.

قائمة المراجع

1) (ابن منظور) أبو الفضل جمال الدين محم بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، المجلد الثالث، الجزء الخامس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2014 .

2) (الأشعري) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، الجزء الأول ، المكتبة العصرية، بيروت 1990

3) (البيهقي) أبو بكر أحمد بن الحسين : مختصر كتاب دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، الجزء الأول ، اختصار وتقديم : مصطفى موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى 2013.

4) إبراهيم الزيني : تاريخ الفلسفة من قبل سقراط إلى ما بعد الحداثة، دار كنوز للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة، 2016.

5) إبراهيم مدكور : في فلسفة السياسة الإسلامية منهج وتطبيق، الكتاب الأول، دراسة وتقديم: منى أحمد أبو زيد، دار الكتاب المصري 2015،

6) ابن تيمية : بيان موافقة صريح المعقول لتصحيح المنقول على هامش كتاب مناهج السنة في الرد على مناهج الكرامة، الجزء الأول القاهرة 1331 هجرية.

7) أبو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة، تحقيق، هيثم خليفة الطعيمي ، جزآن، المكتبة العصرية ، بيروت، 2011.

8) اجناس جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، نقله إلى العربية وعلق عليه: د/محمد يوسف موسى، د/علي حسن عبدالقادر، الأستاذ/عبدالعزيز عبدالحق، الطبعة الثانية، دار الكتاب الحديثة بمصر، دون سنة .

9) أحمد عرفات القاضي: صورة الحاكم الفيلسوف بين أفلاطون وبعض فلاسفة الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012 .

10) أفلاطون: المأدبة ، ترجمة : وليم الميري ، بيروت، دون سنة.

11) البغدادي : الفرق بين الفرق، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة ، دون سنة،

12) بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكري في الاسلام ، سلسلة احياء التراث الثقافي الفلسطيني ، الطبعة الثانية ، 1981 ،

13) ت.ج. دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ، نقله إلى العربية وعلق عليه : الدكتور / محمد عبدالهادي أبو ريده، دار النهضة العربية ،

14) جيوم دفو: رسائل إخوان الصف وخلان الوفا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

15) الحافظ بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ في كتابه : أخلاق النبي وآدابه ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية ، 1986 .

16) حامد طاهر ، الفلسفة الاسلامية ، مدخل وقضايا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 1992 ،

17) الرسالة الجامعة ، ج2، تحقيق جميل صليبا، دمشق 1948.

18) رسائل اخوان الصفا ، أربعة أجزاء ، مراجعة : خير الدين الزركلي، الرسالة الخامسة ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، القاهرة 2017 .

19) صابر عبده أبا زيد محمد : فكرة الزمان عند اخوان الصفا ، تقديم: أ.د. عاطف العراقي ، مكتبة مدبولي، القاهرة 1999

20) طه حسين : تقديمه لرسائل اخوان الصفا وخلان الوفا الجزء الأول ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، القاهرة 2017.

21) عبدالغفار مكاوي : لم الفلسفة مع لوحة زمنية بمعالم تاريخ الفلسفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة مكتبة الأسرة ، القاهرة 2016،

22) علي أدهم : الجمعيات السرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة مكتبة الأسرة 2017 ،

23) عمر الدسوقي : اخوان الصفا ، مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية ، دار احياء الكتب العربي، دون سنة .

24) عمر فروخ : اخوان الصفا ، درس – عرض – تحليل ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت 1953 ،

25) فؤاد البعلي: فلسفة اخوان الصفا الاجتماعية والأخلاقية، مطبعة المعارف بغداد، 1958،

26) فؤاد معصوم : اخوان الصفا ، فلسفتهم وغايتهم ، دار المدى للثقافة والنشر ، الطبعة الأولى دمشق 1998 ،

27) كليلة ودمنه، ترجمة:عبدالله بن المقفع، دار مطابع الشعب.

28) ماريا لويزا برنيري: المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، ترجمة دكتورة/ عطيات أبو السعود، مراجعة، دكتور عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة. الكويت. سبتمبر 1997.

29) محمد الناصر صديقي: التنظير السياسي في أدبيات إخوان الصفا بين خطاب العدالة والبشارات المهدوية، أعمال المؤتمر الدولي الرابع: السياسي في البلاد الاسلامية– الفكر والانماط والأماكن، جامعة منوبة مخبر النخب والمعارف والمؤسسات الثقافية بالمتوسط، أكتوبر 2015 .

30) محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا، تقديم د/عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982

31) محمود إسماعيل عبد الرازق : إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998،

1) محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام، الطبعة الخامسة ، مكتبة سينا للنشر ، القاهرة 1997 .

32) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2016

33) مصطفى صمودي : المدينة الفاضلة عند اخوان الصفا ، اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربي ، العددان : 130 – 131.

34) منى أحمد أبو زيد: العدالة والشرعية عند مفكري الإسلام، مقال منشور بمجلة التفاهم. منشور على الرابط :

https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjOrP_7toP-AhWlUqQEHcoiBqwQFnoECCYQAQ&url=https%3A%2F%2Ftafahom.mara.gov.om%2Fstorage%2Fal-tafahom%2Far%2F2015%2F047%2Fpdf%2F03.pdf&usg=AOvVaw2sDHH3fUX1Aqu0WoDJouEl

35) الناصر الهمامي: المنطق والرياضيات عند إخوان الصفا، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، عدد 32 ، جولية 2017، رابط :

http://search.mandumah.com/Record/828980

المراجع الأجنبية:

Albert Nader: " Courants d'idèes en Islam du sixième au vingtième siècle" . Paris : Médiaspaul، 2003.